
يسقط الاستعمار
روائع آثار الشهيد د. علي شريعتي

أسس عام 2007 بمدينة دمشق .

رسالة المركز :

- أن يكون عربيا، مسلما، إنسانيا، عالميا، يشع بحروفه الفاهمة حواراً، وتلاقياً، وتعارفاً، وحكمة.

- محاولة جادة للخروج من القوالب الجاهزة والأفكار المعتادة والقناعات المحنطة .

- نقلة نوعية من اللاإدراك إلى الإدراك بلوغاً إلى العمل على أن يصبح أي تعاهد واستيثاق من غائب مغيب حاضراً فاعلاً .

- الناقد الثقافي لن يكون حبيس منظومة دائرية أو حلقة فكرية مفرغة بل هو إسعاف وإنعاش للفكر والوجدان .

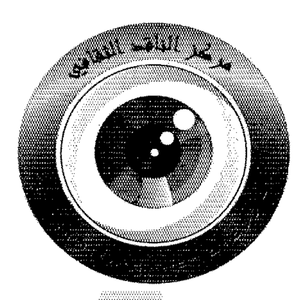
سلسلة روائع أفكار رواد الإصلاح والتغيير

يسقط الاستحمار

روائع أفكار علي شريعتي

دانيا محمد بازركان

الطبعة الأولى 2010



المدير العام

علاء الدين آل رشي

المدير التنفيذي

كوثر البقاعي

المراجعة اللغوية والتدقيق

أ. حسن مروة

عنوان المركز

دمشق - سورية

00963-991547801

www.alnaqedcenter.com

للتواصل:

kawthar@alnaqedcenter.com

alaa@alnaqedcenetr.com

مرحبا بكم في مركز الناقد الثقافي

المحب / المحبة / للثقافة والمعرفة

تحيات طيبات مباركات وسلام عليكم من الله ورحمات، وبعد :
مازالت الأمية المعرفية الجرح النازف في لوحاتنا المعاصرة، ولما كانت القراءة فعلاً حضارياً، يسهم في استنهاض العزائم وبناء مجتمعات السلم والعلم، ونظراً لتقديرنا لشخصكم الكريم في الإسهام في دعم المشروع الذي نأمل أن يكون إنسانياً عالمياً عربياً مسلماً يشع بحروفه الفاهمة. نأمل منكم المشاركة في إبداء ملاحظاتكم من أجل إثراء الصورة المعرفية وتقويم المركز وسيره وتصحيح عثراته .

الاسم .... العمل ....
رقم الهاتف / الجوال / ....
المدينة .... البلد ....
عنوان البريد الإلكتروني: ....
اسم الكتاب: ....
التاريخ : ....
من أين حصلت على الكتاب؟ ....
رأيك في الكتاب بإيجاز (من حيث قيمته ومناسبته للراهن) :
....
....
....
مار أيك في الكتاب من حيث :
تصميم الغلاف :...
الفكرة :...
مقترحاتك لتطوير عمل الركز:..
مقترحاتك الطباعية (ما الموضوعات التي تقترح أن نصدر لها كتباً جديدة)
....
انقد المركز :
تواصل معنا (هل تريد أن تنضم إلى قراء المركز ؟ – هل تريد أن تنشر كتاباً ؟):
....

يمكنكم إرسال أجوبتكم على موقع الناقد الثقافي:

www.alnaqedcenter.com
alaa@alnaqedcenter.com
kawthar@alnaqedcenter.com

الإهداء :

إلى

الذين رفضوا أنْ يُجعل الدين ديناً ضد الدين،

واستنكروا أن يعيشوا في جلباب المقابر،

و لم يحولوا تراب الأضرحة والأحكام المسبقة

إلى معابد تُقدس الطائفية والنحر المذهبي .

أكاد أرى ثورة في النفـــوس

تشـد الحيـاة إلى المجـد جرا

مضى الليل وانجاب عهد الظلام

وبعد الدجى يعقب الليل فجرا

محمد إقبال.[1]

1- يا أمم الشرق،ص123

مقدمة

اليوم ونحن نعيش في عصر العولمة والحداثة وما بعد الحداثة،عصر سقوط كل المرجعيات،عصر غالب ما حولنا يسير نحو تهميش الإنسان و تأطيره واختزاله في جسده،وإنكار شقه الروحي الذي أصبح به ممثلاً لله في الأرض وخليفته،يحمل الخصائص الأخلاقية لله سبحانه وتعالى وموضع أمانته،وهو مسؤول عن إقامة العدل على هذه الأرض.

أمام هذه الهجمة الشرسة، مازال البعض منا يعيش الموت وهو يحيا، يحول نفسه إلى خندق نار يحرق فيه ذاته ومن اختلف معه، ولو تأملنا في خارطتنا العقلية لخرج التحليل بنتائج مخزية :

خلافاتنا حول الأمور الثانوية تضخمت على حساب المقاصد الكبيرة التي تنهض بالإنسان والمجتمع معاً.

أنماط تفكيرنا تقليدية،سطحية،جامدة .

تغيب عن ثقافتنا ملكة التفكير النقدي.

التفكير لدينا نوع من الرفاهية و ترف الحياة،لذلك لا نتعب أنفسنا بالتفكير بأوضاعنا.

نكتفي بجلب قوالب جاهزة جامدة، إما من أسلافنا الأقدمين (الذين مضى على رحيلهم ما يزيد على ألف عام)،أو نستجلب هذه القوالب من الغرب كما هي بدون نقد أو تمحيص.

ثقافة الحوار لدينا معدومة، بل ثقافتنا قائمة على سياسة الإلغاء والإقصاء لأي فكرة تهدد توازن مجتمعنا القلق. الكل خائف من الكل والكل لا يأمن الكل .

لم نعد قادرين على اتخاذ أي موقف إيجابي تجاه الواقع، وأصبحنا لا نتوقع من أنفسنا القيام بأي شيء ولو كان صغيراً تافهاً، ونؤمن بأن الأوضاع لن تتغير إلا بمعجزة فليس بالإمكان أبدع مما كان . إن ما أقوله ليس جلداً للذات وإنما تحديق ووضع العربة على السكة كفانا حديث المفاخر ونحن اليوم نصدر المهازل ...

الأمة الإسلامية وهكذا حالها أصبحت كالجسد الهزيل أو كـــ(القصعة) التي أخبر عنها الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله على صحابته الكرام –و التي أصبحت من كثرة الأيدي مقرفة تنوء بأمراض وأسقام عديدة، بعضها ناتج عن ضعفها وهزالها وفقدالها لمناعتها الداخلية،و بعضها الآخر ناتج عن تسلط القوى الخارجية عليها،لذلك فهي تحتاج إلى فريق طبي مكون من أمهر الأطباء(أطباء حضارة) لكي يشخصوا المرض بدقة ويتحاوروا ويتعاونوا ويتكاملوا لتصنيع الدواء الترياق لأمتنا.

يقول علي شريعتي المفكر المسلم :((إن منشأ التكامل هو التنازع و تصادم الأفكار و الآراء و النظريات))، فهذا التصادم هو الذي ينتج الأفكار الجديدة التي تسهم في بناء وتطور المجتمعات.

تتسم طروحات المفكر الدكتور علي شريعتي :

بالتحليل العميق للواقع و للأوضاع السائدة في مجتمعاتنا.

ببساطة الأسلوب، فهو في كتاباته يخاطب الأمة التي يؤمن بها و يعتبرها نواة التغيير، والوقود الذي يلهب روح ثورات الإصلاح والتغيير الاجتماعي.

ينبه المرحوم شريعتي من خلال كتاباته إلى أن ما تعانيه الأمة الإسلامية من جهل وتخلف وفقر وتبعية واستبداد ليست أمراضاً بحد ذاتها، بل هي أعراض لأمراض مستترة، و إذا أردنا اجتثاثها فعلينا اجتثاث جذورها.

ابتكر العلامة شريعتي مصطلح **النباهة والاستحمار** وهو ما أسماه في مابعد مالك بن نبي بـــ(**القابلية للاستعمار**) .في دلالة أن من كان ذكياً فلن يسمح لأحد بامتطاء ظهره واستحمار عقله، وما لم نحرر عقلنا من الذكرى والحديث عن الماضي وما لم نتب إلى الله من مقابحنا الحاضرة فلن نتحرر فسيادة ثقافة الاستحمار التي تعمل على تغييب الوعي وتزييف الحقائق واختزال الإنسان ذو الإرادة الحرة، الفعّال في المجتمع، القادر على تسخير الكون،الحامل على كتفه مسؤولية مصير

المجتمع ومشاكله واحتياجاته إلى إنسان مفرغ الباطن، لا تتجاوز رغباته واحتياجاته حاجات الحيوان .

إنّ رفض الاستحمار يبدأ ب :

1- الاعتراف بالقصور الحضاري بغية الكشف عن المخبوء من عللنا ومعالجتها .

-2 العودة إلى الذات من غير انكماش مع الانفتاح على المحيط من غير تلاش حتى نتمكن من الانتماء والارتقاء.

3- رفض أن يتحول الدين إلى دين ضد الدين، بأن نكف تماماً عن أي نزعات تصفوية في أحاديثنا كي نمنع الرصاص أن ينطلق باسم الله ليذبح الأبرياء .

-4 فك التلازم بين مافيا السياسة ودراويش الدين الذين حولوا الدين إلى فم يقبل يد كسرى وقيصر وفرعون .

يقول آرثر سالزبورغر، مؤسس صحيفة نيويورك تايمز بهذا الصدد:((احجب المعلومات الصحيحة عن إنسان، أو قدمها إليه مشوهة أو ناقصة أو محشوة بالدعاية والزيف_إذاً فقد دمرت كل جهاز تفكيره ونزلت به إلى مادون مستوى الإنسان)).

والدين قد يتحول من دين يخاطب العقل والعاطفة ويلبي أشواق الناس وتطلعاهم إلى دين مضلل، يسلب إرادة الإنسان الحرة، وقدرته على التغيير،فهو يستغفل أتباعه، ويفرغهم من جوهرهم الإنساني، ليجعلهم

أتباعاً صاغرين أذلاء، ينكرون مسؤوليتهم الاجتماعية ،ويعلقون آمالهم وتطلعاتهم بالآخرة، وبذلك يخسرون دنياهم و آخرتهم.

ولما يمتلكه شريعتي من ملكات نقدية استطاع وضع نظرية توفيقية مابين التراث والمعاصرة، نستطيع من خلالها الخروج بأفكار نهضوية تستطيع أن تقود المجتمع نحو الحضارة والتحديث، هذه الأفكار ليست موجودة في تراثنا ولا في الحضارة الغربية،إنما هي أفكار إبداعية وليدة عقل المفكر المبدع الذي يكون في تفكيره غير مقلد لا للشرق ولا للغرب.

فالحضارة ليست وصفة جاهزة يمكن أخذها من الآخرين، ولكنها إبداع وجهد وعمل متواصل نقضيه في غربلة ونقد تراثنا، ونقد الأفكار الحداثيّة التي تأتينا من الغرب، لنتعرف على الأفكار الأصيلة والصحيحة والفعّالة، ومن ثم نستطيع أن نقلب توازنات تموضعاتنا الفاسدة وإقامة توازنات جديدة فعّالة ومنتجة في مكانها.

وأخيراً،فإن هذا الكتاب يرفع شعار:

إذا كان من حقنا نحن_الجيل الحديد_أن نحلم بنهضة مجتمعنا وعودته من جديد ليواصل مشروعه الحضاري،فإن من واجبنا أن نقرأ وننقد ونمحص واقعنا وأفكارنا و نبدع وسائل عمل كفيلة بدفع المجتمع نحو الحضارة والتقدم.

فهذا الكتاب دعوة إلى النقد والتغيير، ودعوة إلى الإيمان والوعي والحضارة ودعوة لأن نرتفع لمستوى الإسلام.

ويبقى السؤال :

هل يوجد أمة تتحدث عن دينها وتعليمه مثلنا ومع هذا فهل هناك أمة تفوقنا في التخلف والانسحاب من ميادين الحياة ؟!!.

كتابنا هذا باختصار:

سجل أنا موجود ولست مغفلاً أو مستحمَراً.

«المجتمع المتخلف ليس موسوماً حتماً بنقص في الوسائل المادية (الأشياء وإنما بافتقارٍ للأفكار، يتجلى بصفة خاصة في طريقة استخدامه للوسائل المتوفرة لديه؛ بقدر متفاوت من الفاعلية، وفي عجزه عن إيجاد غيرها، وعلى الأخص في أسلوبه في طرح مشاكله أو عدم طرحها على الإطلاق؛ عندما يتخلى عن أي رغبة ولو مترددة بالتصدي لها.»[1]

الفصل الأول
نقد الذات

1- مالك بن نبي،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص36)



❋ قراءة تاريخنا السياسي:

هذا هو ما يجري في زماننا، وهذه هي سير أولئك الذين يُعتبرون العيون التي تمدّ مجتمعنا بالغذاء المعنوي ويأخذ قومنا إيمانهم و معرفتهم عنهم، وكما نرى كلهم صورة طبق الأصل: السلفي والعصري، الديني والعلماني، اليساري واليميني، مستنير الفكر ومتجمّد الفكر، حيثما نعيش كلّهم واحد ومن نوع واحد وأسلوب إعدادهم واحد ومجال استعمالهم واحد.

القاعدة الأولى: كلّ من كان من أهل العلم والأدب والفنّ والقلم، وله على كلّ حال نشاط في هذه الميادين، هو مجبر على أن يلجأ إلى مظلّة ما، ويستند على قاعدة ما وإلا فسوف يبقى وحيداً غريباً في هذه الصحراء القاحلة المحرقة الخالية مضموراً شريداً وسوف يموت. هذه هي «سنّة الأوّلين» في تاريخنا، والسيرة القديمة لثقافتنا وأدبنا وفننا، إن السلاطين المشجعين للشعراء والعظماء وأرباب البيوتات كانوا كما يقول البيهقي:[1] ((يجذبون إليهم فناناً مغموراً ليرفع أسماءهم إلى أعلى عليين))، وسيرة الأنوري[2]، تحتوي على مصير مزدوج لأهل العلم والفن عليهم أن يختاروا واحداً منها.

1- المترجم: أبو الفضل البيهقي: مؤرخ من العصر الغزنوي (القرن الخامس الهجري) صاحب التاريخ المسعودي المشهور بتاريخ البيهقي. انظر الترجمة العربية لصادق نشأت.

2- المترجم: المقصود أوحد الدين الأنوري شاعر المدح في عصر السلاجقة.

وإذا «رفعت رأسك هناك فتنة»، ينبغي أن تفعل كما فعل الفردوسي[1] فتكون شريداً هلعاً، في خفية من أعين «الجواسيس» و«عمال الحكومة» تأكل حساء الأكارع ولحم الرأس وبعد ثلاثين سنة من المجهود المستمر، تشكو جزاء رجولتك وشهامتك ونبوغك وشرفك من قحط السنين والجوع:عيناي وأذناي أمسكت بهما الآفة وضيق ذات اليد وقحط السنين سلبا القوة لا كنت شيخاً وتعاني هذين فمن المصيبة الشيخوخة والمسغبة[2].

وهكذا تموت، ويأتي عالم الدين الفقيه الأعظم ومفتي الشرع الشيخ أبو القاسم الجرجاني ويصدر فتواه قائلاً: (بالرغم من أنه كان رجلاً عالماً ومتديّناً، فقد ترك الصراع المستقيم وأنفق عمره في الحديث عن المجوس والملحدين) ثم يمتنع عن القيام بصلاة الجنازة عليك[3].

يا له من مسرح مثير للغثيان تاريخنا السياسي هذا، حتى في أوج مجدنا وقوتنا وتقدمنا وحضارتنا، تبقى ابنة الرجل العظيم في أمتنا بلا

1- المترجم: أبو القاسم الفردوسي شاعر إيران العظيم في القرنين الرابع والخامس وناظم الشاهنامه في ثلاثين عاماً من الجهد المتواصل دون أن ينال أي تقدير من السلطة التي كان يهمها شعر المديح فحسب.

2- المترجم: البيتان من. شاهنامه الفردوسي.

3- الناشر: المكان الذي يحتوي على أقوال الشيخ الجرجاني خالٍ في النص وما بين القوسين نقل بتصرف من دولتشاه السمرقندي. المترجم: هناك رواية أخرى أن الفقيه كان كرامياً لم يحدد اسمه وأنه رفض دفن الفردوسي في مقابر المسلمين لأنه كان شيعياً «انظر المقالات الأربع لنظامي ترجمة عبد الوهاب عزام».

صداق، ورجل نتن مثل «اياز»[1] يوافق بزينته وبشرته الصافية ودلاله وغنجه واستعداداته الأخرى مزاج حضرة السلطان الغازي، مجاهد الإسلام ورافع لواء التوحيد وفاتح معبد سومنات، من له شجاعة رستم وحكمة سقراط[2]، فيصير مقرّباً للخان والخاقان ومحبوباً للخواص والعوام وممدوحاً للشعراء والكتّاب.

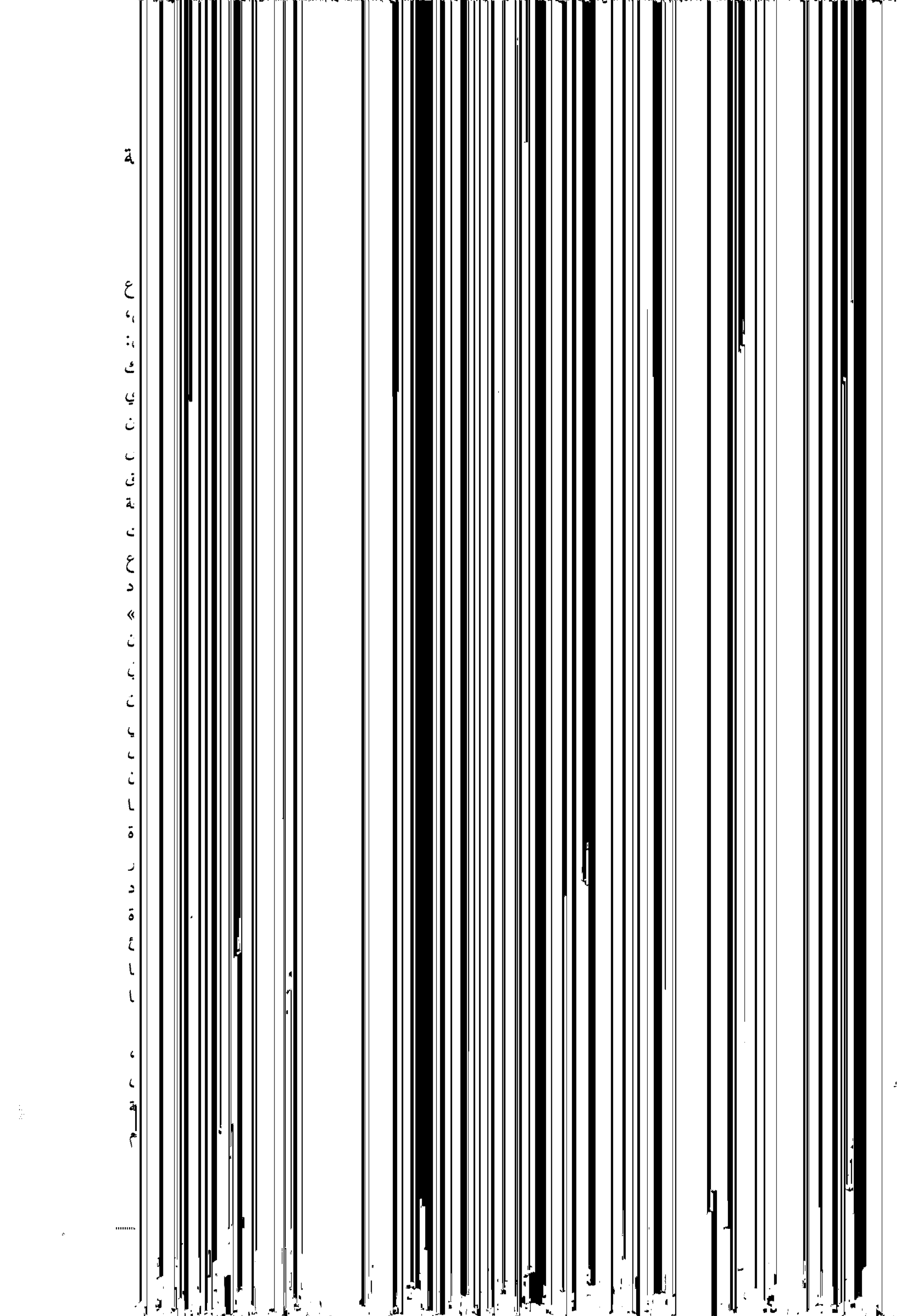
لكن أمثال الأنوري الآن أمامهم ثلاثة ملاجئ وثلاثة من أماكن التنشئة «وفي الأغلب ثلاثة من محال الميلاد».

القاعدة الثانية: هي الدين، وأقصد به «ما يسمى بالدين»: مخروط رأسه المحراب وقاعدته السوق وحواشيه الأرياف وفي داخله: المدرسة والمسجد والمحراب والمنبر والتكية وهيئات العزاء الديني واللغة العربية والطبقة البورجوازية الكلاسيكية والثقافة الموروثة والرؤية التقليدية والنمط المتعصب.

القاعدة الثالثة: الإنتلجتريا، جماعات المفكرين، وأقصد بالـ«فكر» والإنتلجتريا من يسمون بهذا الاسم: مخروط رأسه غير واضحة وتحته الجامعة، وجوانبه أي: حواشيه دواوين الوزارات وبداخله: المجلات والمسرح والتلفزيون والأحاديث الصحفية والمقهى والبيرة وأماكن

1- المترجم: اياز مملوك للسلطان محمود الغزنوي. انظر معلومات أكثر في المقالات الأربع.

2- المترجم: يسخر شريعتي من الصفات التي كان شعراء محمود يسبغونها عليه.



على كل حال، هناك ثلاثة طرق أمامك، مكتوب في أوّل كلّ منها على حجر حديث إن لم تقرأه على واحد فاقرأه على الآخر،الأول والثاني والثالث طريق العسل والراحة والسرور هو قرين العار، لكنه يفضي إلى المدينة والرياض والعمران، والرابع طريق من يمضي فيه لا يرجع، لا صريخ فيه، إن رفعت رأسك ففتنة، وإذا صمت تماماً فأنت مستريح ومغمور.

كل من كان شاباً باحثاً عن الشهرة والرزق، ينبغي عليه عند أول خطوة يخطوها في عمله أن «يحدّد قاعدته الاجتماعية».[1]

❋ النباهة والكفاءة العلمية:

أن نكون نبيهين كيلا نرى أنفسنا مغتنين فكرياً بالكفاءة العلمية، لأنّها كفاءة كاذبة وشبح كاذب ونوع من الغش الكبير الذي يختص به المثقفون والمتنورون في زمننا. فحين يرى المثقف نفسه مشبعًا بالعلم وينال دراسات عالية، ويكتسب معلومات واسعة ورفيعة، ويرى أساتذة كبارا وكتبا مهمة، ويجد الآراء والنظريات البديعة و يتعلمها، يجد في نفسه رضىً وغروراً، ويظن أنّه بلغ من الناحية الفكرية إلى أقصى ما يمكن أن يبلغه الإنسان الواعي. وهذا الخداع يُبتلى به العالم أكثر من غيره،.إذ لا يظن الأستاذ، أو الفيزيائي، أو الفيلسوف، أو الصوفي الكبير، أو الأديب، أو المؤرخ أنّه يمكن أن يكون لا شيء من الناحية

1- علي شريعتي،العودة إلى الذات، ص.ص214-211.

الفكرية، وأنّه في مستوى أقل العوام شعوراً. وحتى الأمي الذي لم يأنس الخط أرقى منه مترلة في الدراية الشخصية، وفي معرفة المجتمع، ومعرفة الزمان ولكنه كذلك.

إن كون العالم جاهلاً وبقاء المثقف عاطلاً من الشعور، أو إعطائه العناوين والألقاب البارزة، كالدكتور والمهندس والبروفسور وأمثالهم لحالة مؤلمة جدا، فيما إذا كان فاقداً للفهم والنباهة والشعور بالمسؤولية تجاه الزمان، وحركة التاريخ التي تأخذه معها هو والمجتمع.

إنّ خطر بقاء العالم جاهلاً وكونه أخرس وأعمى ولا شيء.لهو خطر كبير جداً.لأنّ الإنسان إذا أُشبع بالعلم لا يشعر بالجوع الفكري.[1].

❋ العمى عن واجب الساعة :

منذ ثلاثين سنة عندما دارت رحى الحرب العالمية الثانية، واشتبك البول في صراع مع الغائط، وأُخذ الغرب المستعمِر بمعاصيه فترلت عليه نازلة الفاشية، وقامت إفريقيا وآسيا تستردّان الروح، وأخذت كل أمة في جبهة صريحة وصامدة بل ومسلّحة تهاجم الاستعمار الجريح المتفرق وجهاً لوجه، وفي العالم الذي كان يسمى بالثالث[2] سابقاً طرحت

1- علي شريعتي، النباهة والاستحمار،ص64_65.

2- في رأيي أنه نظراً لتداخل التكتلات العالمية، وتغير العلاقات السياسية بين الأقطاب (حيث كانت أمريكا وأوروبا تعتبران قطباً واحداً للرأسمالية، والاتحاد السوفييتي والصين وأوروبا الشرقية قطباً للشيوعية، وأمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا التي لم تكن قد وصلت إلى مرحلة الرأسمالية أو اعتنقت الشيوعية تسمى بالعالم الثالث) هذه التسمية وهذا الوصف لم يعد له مصداق أو معنى. وحتى هم أنفسهم يعترفون بهذه الحقيقة ولكنهم عندما يعترفون، يريدون أيضاً تفسير هذه الواقعية التي لم

قضايا من قبيل تاريخ الاستعمار وأنواعه وأهدافه وحيله وجرائمه، والمعاهدات المفروضة وطرق فسخها، وفي العالم الإسلامي كانت حركة سيد جمال الدين في حينها تتقدم في جبهتين: جبهة سياسية وجبهة ثقافية، وكان الوعي التقدمي الإسلامي المضاد للاستعمار يعبئ قوى واسعة من الشعب.

أما في مجتمعنا بعد الحرب كانت أعظم الشعارات التي تطرح من قبل المتدينين هي المطالبة بالسيطرة من جديد على المدارس القديمة، وإحياء اللحى والعمائم التي ضاعت، والعودة إلى التكايا، وإقرار «إنشاء الروضة»[1] في المنازل، وتشكيل هيئات الدق على الصدور والضرب

يعودوا بعد يستطيعون كتمانها بشكل فيه بعض التطرف، وهذه خاصية بارزة وشائعة في اللغة الاستعمارية، فهم يقولون: إن العالم الآن لا ينقسم إلى معسكرين بل ينقسم إلى خمسة معسكرات أمريكا وأوروبا المستقلة عن أمريكا والصين والاتحاد السوفييتي والقوى المستقلة التقدمية للعالم غير الملتزم «الثالث سابقاً». وفي هذا الشعر المخمس توجد حقيقة بلا شك، ولكنهم استعملوا بعض المغالطة في هذا المخمس السياسي، إذ إنهم أولوا ببعض الاحتيال واقعاً سياسياً وجعلوا واقعاً اجتماعياً، وهذه قاعدة رائجة إذ يجرعون الناس الباطل على أنه حقيقة ببعض الاحتيال، وهذا كما يتحدثون عن النظم الاجتماعية الداخلية، إذ يرفضون التثليث الحاكم الذي يبدو أمام الناس في صورة طبقة واحدة متحدة، استناداً على بعض الاشتباكات الداخلية التي تكون حادة أحياناً بين الأجنحة الثلاثة: السياسية والاقتصادية والدينية، حتى يخمدوا الوعي الذاتي الطبقي بين الناس ويفرقوا بين الجهات.

1- المترجم: المقصود بإنشاد الروضة، قراءة سير آل البيت ومناقبهم في المناسبات الدينية أو لمجرد التبرك في المناسبات، والاسم مأخوذ من أول كتاب كتب في هذا المجال وهو «روضة الشهداء» لحسين الواعظ الكاشفي من أوائل وعاظ الصفوية، وقد تلاه عدد كبير من الكتب في هذا المجال منها « طوفان البكاء »للجوهري.

بالسلاسل ولفها مغلقة بالأقفال حول الأجساد[1]، وإعادة «عورات» المسلمين إلى الملاءات السابقة، وفتح حجرات التجارة القديمة[2]، وعودة الدين إلى خلاصة الحساب للشيخ بهائي وحاشية ملا عبد الله والرسائل والمكاسب والمبحث الحيوي عن العتق والمشاكل الضرورية عن الإجارة، وطرح دقائق باب الطهارة والنجاسة، وحل المشكلات الموجودة والمحتملة في العلاقة بين السيد و«العبد»، والخلاصة: العودة إلى الوراء عشرين سنة لا ألف وثلاثمائة سنة كما كان أتباع السيد جمال الدين يعلنون.[3]

❋ خلق التبعية (التقليد)بين الأقدمين والمحدثين:

القشرة لا المضمون :

من أجل أن يكون المرء مفكّراً في دول الدرجة الثانية الآن، يكفيه فقط إتقان لغة أجنبية واستمداد العون من كتاب، ومن ثم فإن الفرق بين المفكر التقدمي وبين المتعلم الرجعي هو أن هذا مترجم تلك الكتب والمقالات وذاك مترجم تلك الكتب والمقالات، صورة طبق الأصل من الجناحين العصري والسلفي، فالسلفي هو من احتفظ بملابسه وبأسلوب

1- من طقوس احتفالات المحرم عند الشيعة الاثني عشرية المتبعة في إقامة العزاء أو التعزية أو المصيبة لآل البيت. المترجم.

٢- المترجم: الحجرة: عربية، والمقصود بها الحجرة التي كان التاجر القديم يدير منها أعماله التجارية وتعد من ملامح التجارة على النظام القديم في إيران في مقابل الشركات والمحلات العصرية في شمال المدينة.

3- (علي شريعتي ،العودة إلى الذات، ص.ص 58-57)

زينته المظهرية، ويتصرف كما كان على الدوام، والعصري هو الذي غير في ملابسه وزينته وتصرفاته لا على أساس الاختيار بل على أساس التقليد، ومن هنا لا دخل لقضية الحضارة في الموضوع، فالحرب بين العصرية والسلفية هي حرب في الاستهلاك، وإلا فإن الرؤية الكونية والرؤية الشخصية والإحساس والفكر والروح والرسالة والهدف كلها كما كانت، ولو تحركت أدنى حركة لانفجرت وتناثرت ولسقطت في ابتذال مثير للغثيان، فحمام النساء صار «المنظمة النسائية»، و«سفرة حضرة عباس»[1] صارت «حفلة في حديقة وسهرة لمساعدة المعوزين»، وهيئات الدق على الصدور ومجالس النواح صارت «الأحزاب السياسية والنقابات العمالية»، و«الفتونة» صارت «نقداً أدبياً» ،و«مقهى المعلم قنبر» صار «كافيتريا سميراميس»، ومقلّدو آية الله الفلاني صاروا مقلّدين لماركس وبيلخانوف، ورواة الأخبار الدينية القدماء الذين كانوا يعتقدون بأنّ «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» صاروا من الاشتراكيين أعداء المطالبة بتجديد النظر» و«آنتي نيتيكت»، والطلاب الصبيان السابقون الذين كانوا يعتقدون في أنّ: كل من قرأ صرف «ميرمير» فإنه يكسر مائة قفل وجتزير. صاروا أخيراً فراريج الفلسفة لمجرد أنّهم صادفوا شخصاً ادّعى أنّه قرأ كتاب «مقدمة في أصول الفلسفة» لجورج بوليتزر الذي كتب للعمال، (فضلاً عن أنْ كان قد

1- المترجم: سفرة حضرة عباس نوع من الأطعمة النذرية الشعبية تجرى في توزيعه طقوس دينية ومذهبية معينة.

فهمه أو لا)، فهم ينظرون إلى الجميع، نظرة العاقل للسفيه وكأنه لم يبق مجهول بالنسبة لهم في الدنيا وما عليها، فالتاريخ لا شيء، والبشرية اليوم: حدث ولا تسل، وستقبل المجتمعات البشرية بالنسبة لهم: أوضح من أكف أيديهم، وويلاه لو أنّ واحداً من هؤلاء كان قد سافر إلى أوروبا وظل فترة هناك مع بعض الرفاق الإيرانيين يطبخون الـ«قرمه سبزي»[1] في أيام الآحاد، وشربوا مع صديقاهم الأوروبيات «قهوة» ذات مرة، ورأوا أحياناً سارتر أو راسل رؤية عابرة بأعين رؤوسهم، حينذاك يصيرون مخلوقات من ماء آخر ومن طينة أخرى، يصابون بالسعار ويعضون ويرفسون، ولو أنّهم – لا قدّر الله – قرؤوا في الصحف أنّ إيما سيزار بذيئة اللسان ووقحة، لواتتهم الجرأة على الفور في أنّ يبزوها في هذا المضمار بمراحل، تعال... ولنر.

إنّ الفرق بين المفكر اليساري والمفكر الرجعي، ليس في أنّ هذا يقلد قدماء المسلمين التقليديين وأنّ ذاك يقلد الفلاسفة التقدّميين الأوروبيين، وأن هذا يكتب «الحواشي» على أسفار ملا صدرا، وذاك يترجم مؤلفات جورس وبيلخانوف، أبداً، الفرق بينهما: أنّ هذا غير واع ومقلّد ومن صنع التاريخ والتقاليد، وأن ذاك واع ومفكّر، وفي كلمة واحدة: إنّ المفكر هو من يملك رؤية نقدية... هكذا فحسب.[2]

1- طعام إيراني.

2- (علي شريعتي ،العودة إلى الذات .ص -94 95)

عقدة النقص و التماهي بالأجنبي :

«من تشبه بقوم فهو منهم»، أي أنّ كل من تشبه بقوم آخرين، ولم يعد له أي ارتباط بمجتمعه، بل ارتباطه بقوم آخرين، وانفصل عن جذوره، فقد صار غريباً عن نفسه، بل مرآة لآخر، ومصطلح As (simile) لفظاً ومعنى هو(المتشبه). لأن من يجعل نفسه شبيهاً بآخر يفر من نفسه، ينكر نفسه بعجلة وإصرار، يكتم علائقه بل وفطرته التاريخية والاجتماعية وماهيّاته الاجتماعية والثقافية، وبتحقير نفسه، يهرب من نفسه إلى أحضان الأجنبي، يجاهد ليصل إلى فنائه فيه وهو الأعلى والأكمل والأجل، وفي مواجهة الأوروبي يحس بمركب النقص في نفسه، ويكون أيّ أشقر أزرق العينين أفضل من أي واحد من مواطنيه وأحسن منهم، يرى قوله فصل الخطاب، ويفخر برفقته، ويُفهمه عن طريق تحقير دينه وتقاليده وقيمه وأخلاق مجتمعه والسخرية منها بأنّه «استثناء» وأنّه بعيد عنهم، وأنّه منفصل عنهم وغريب عنهم، بل هو شبيهه، يرى مثله ويُحس مثله ويعيش مثله، وكأنّه يريد أن يقول له: من يوجد مثلي في مجتمعنا؟ من هم أمثالي؟ من هم؟[1]

ذهنية التقليد:

في هذه البيئة الراكدة، وفي تلك الأيام التي كان الاستعمار يجاهد فيها ليرسخ ويبقى ويمدّ جذوره في أعماق مجتمع الأمم الشرقية وفكرها

1- (علي شريعتي،عودة إلى الذات، ص110)

وذوقها عن طريق قلب قيمها الثقافية والتاريخية وشخصيتها المعنوية والدينية ومسخها ومحوها، وفرض أنماط حياته الفردية والاجتماعية عليها، فإنّ طريق خلاصنا هو ما يقوله ذلك المفكر المستنير المصلح العصري التفكير: «فلنلقِ بقنبلة الاستسلام للأوروبي في هذه البيئة ولنفجرها، والخلاصة: لنصبح أوربيين من قمة الرأس إلى أخمص القدم»[1].

التقليد في الموروث و الوافد على حد سواء:

وجود هؤلاء «المتشبهين الاستهلاكيين» مأساة، لكنها مضحكة

1- من أراجيز العلامة تقي زاده الحماسية، وهو الذي كان شديد التظاهر إلى هذه الدرجة إبان الحركة الدستورية، وهو نفسه صورة مجسّدة للتاريخ المعاصر وتمثال حي لكل الأحداث التي مرت بنا في القرن الأخير. ومن ملكم خان حتى تقي زاده نستطيع أن نتابع بدقة حركة الإصلاح الالتباسية ولعبة المفكر المستنير التقدمية التفرنجية. ومن أجل توضيح هذه القضية، وهي أخطر مشاكل الشرق خصوصاً العالم الإسلامي في القرن الأخير، ينبغي الانتباه إلى الدور المشابه الذي بدأ القيام به هؤلاء المملثون العظماء بالنمط نفسه.

وفي الوقت نفسه في الدول الإسلامية الأخرى من أمثال: سيد أحمد خان المصلح العصري في الهند، وضيا كوك آلب الأب الفكري لأتاتورك وآخوندوف في المجتمع الإسلامي المستعمر من روسيا القيصرية، وعلى هذا النسق نفسه في شمال إفريقيا ومصر والعراق، أولئك الذين جاهدوا باسم العصرية حتى يزيحوا الإسلام عن طريق دخول الاستعمار.

المترجم: ناهيك عن التداعيات التي يستدعيها هذا الموضوع في مصر وهي كثيرة والقافلة مستمرة، قافلة «دعاة التنوير» أو «رواد الحركة الفكرية» كما يحلو لهم تسميتهم، ابتداء من رفاعة «بك» المبهور بعربة الرش ومروراً بأحمد لطفي السيد «باشا» وطه حسين «بك»، وانتهاء بطواشيهم «توفيق الحكيم» المفكر «العالمي» و«حسين فوزي» و«زكي نجيب محمود» مع جيش من الصحفيين والمترجمين وأساتذة الجامعات والأسماء الطنانة الرنانة التي لا يتطرّق الشك إلى علمها.

المترجم: بعض تمثيليات احتفالات التعزية في إيران، وتدور حول تأصيل عداء الشيعة لأعداء آل البيت وقتلتهم، وهي من نتاج العصر الصفوي.

- علي شريعتي ،عودة إلى الذات، ص.ص59_60

أكثر مما هي مؤلمة. هم يستهلكون فقط، شبه بشر ليست لديهم القدرة على التمييز والحسم والاختيار وتحليل الأمور. إنهم مقلدون فحسب، بالأمس مقلدو آية الله، واليوم مقلدو الفنان أو النجم، تحدد أنماطهم النفسية والاجتماعية والإنسانية مجلة «ماجو» وتحدد «رسالة علمية»[1] مسير حياتهم. هؤلاء هم الذين كانوا بالأمس يدقون الصدور من أجل دين لم يكونوا يعرفونه، واليوم يفعلون نفس الشيء من أجل حضارة لا يعرفون ماذا تعني. على كل حال: إذا فرضنا أن المجتمع شخصية واعية وإنسان أعلى فهؤلاء هم أعضاء جسده، ميتة المجتمع، رؤيتهم الكونية ومسرح صراعاتهم الاجتماعية والفكرية حول الحجاب أو «الميني جوب» وحول موضة السيارة وحول ديكورات المترل وأثاثه، وطراز العمارة، وموديل الملابس، والزينة والحركات والأطوار المقلدة المتجدّدة في كيفية الأكل أو النزهة أو الهوايات الرائجة أو العادات والتقاليد السطحية البلهاء. نوع من الحرب بين المنحرف وخلي العذار كما نراها وكما نقرأ عنها، وتتم طريقة تبديل الأنماط القديمة إلى جديدة بسرعة البرق وظاهرياً، وعلى مستوى الاستهلاك والزينة وشكل الحياة اليومية، بتوجيه من مجلة «زن روز» يأخذون امرأة ما إلى مؤسسة كريستيان ديور، وبعد بضع ساعات يخرجونها امرأة أوروبية من قمة الرأس إلى أخمص القدم، على أي موديل أو طراز يوصون به: إيطالي أو فرنسي أو

1- المترجم: المقصود – سخرية – بعض الرسائل الشعبية التي كانت تكتب في الفقه الشيعي.

إنجليزي أو مخلوط، هذا التحديث السريع والرقي المدهش لا يريد أكثر من شرطين: أولهما عدم وجود شعور وخصية، وثانيهما: وجود المال والإمكانيات.[1]

صريع الإفرنج:

المتفرنج يعني شبه الأوروبي، ويعني: «الإنسان الذي أخلى الأوروبي باطنه من المحتوى الإنساني والفكري والشخصية الخلاقة، حتى يصير من قمة رأسه إلى أخمص قدمه معدة مفتوحة وحلقاً مفتوحاً من أجل المنتجات الصناعية الحديثة في أوروبا وحينذاك يدهن هذا الجلد النتن، هذا «الرجيل» الذي صار دمية من الجص، وتوضع فوقه الملابس، ويعبأ بالحركات والسكنات المزيفة التقليدية الشبيهة بالـــ«كليشيهات» والتي لا سابقة لها حتى في أوروبا».[2]

الهروب من العار والمسؤولية:

وعندما يُحسّ الشرقي أنّه غثاء وهباء، منتسب إلى دين منحطّ، ومنتمٍ إلى عرق ثقافته وجماليّاته وفنونه وأشعاره ونظمه الاجتماعية وتاريخه وشخصياته التاريخية ومفاخره الماضية كلها منحطّة ،وأنه لا يملك شيئاً قط، يُحسّ تلقائياً بالعار، ويتّهم نفسه بأنّه من عِرق منحطّ، ومن أجل أن يدفع هذه التهمة عن نفسه، يتشبّه بالغربي، حتى يقول بعد ذلك: لست من هذا العرق المتهم، إنني من صنفكم، ويتظاهر بأنه يشبهه، يشبهه في الحياة والسلوك والتصرفات والحركات والسكنات

1- (علي شريعتي، عودة إلى الذات ، ص.ص -142 143)
2- (علي شريعتي، عودة إلى الذات، ص63)

والزينة وأسلوب العيش، ومن هنا فالتقليد ظاهرة ،نتجت عن جدلية سوردل في العلاقة بين الشرقي والغربي.[1]

الفناء في الاستعمار الأوربي:

الإنسان بقدر ما يعرف الله ويدرك صفاته الإلهية، ويحس بوجوده المطلق وكماله الأعلى، ويتحير في عظمته وجلاله وجماله ويعشقه ويعبده، ينفي صفاته كموجود غير الله، وكـــ«أنا» منفصلة عن الذات الإلهية، وفي هذا «السير والسلوك» يصل إلى مرحلة لا يجد فيها نفسه، ويغترب عنها، ولا يعرف شخصاً اسمه «الحسين بن منصور الحلاج»، ويصير كله «هو» ويصل إلى مقام «لا» وهو النفي المطلق لنفسه، وبالطبع يصل إلى مرحلة الـــ«لا» على الفور، وبالغناء عن نفسه يصل إلى مرحلة البقاء فيه، والفناء في الله من أجل البقاء بالله جدلية عرفانية. وفي هذا التركيب لو وضعنا «العصري» بدلاً من «العبد» والاستعمار الأوروبي بدلاً من «الله»، فإن العلاقة لا تختلف والنتيجة واحدة، الفرق الوحيد هو الفرق بين الله وبين المستعمر «بكسر الميم»، لأنه في هذا التركيب يكون للاستعمار في نظر العصري التجلي والتقدس والجمال والجلال المطلق الإلهي الأعلى، وللعصري تجاهه العبودية والطاعة وذات العبد، الفرق أنه عبد على خلاف عبيد الله، فقد أوصله إلى معبودة ملائك عرش كبريائه.[2]

1- (علي شريعتي ،العودة إلى الذات،ص42)
2- (علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص 109)

الفناء في شخصية الديكتاتور(المستبد):

لماذا نبغض الديكتاتورية ونستنكرها ؟ السبب في ذلك أنّ شخصية الديكتاتور تلغي ما سواها من الشخصيات وتقهرها في شخصية واحدة، ويتحوّل المجتمع إلى ملايين من الشخصيات (المصلحية) الذائبة في شخصية حقيقية واحدة، في (أنا) واحدة هي (أنا) الرئيس، وتلك هي بداية النهاية لمجتمع ما .

الشعب الإسباني يعدّ من أوائل الأمم والشعوب التي التهمت الغرب حضارته، واليوم انصهر هذا الشعب باستثناء أفراد قلائل في شخصية (فرانكو) . والملايين من الألمان مابين عالم ومفكر ورجل أعمال انصهروا في شخصية هتلر، وتحوّلت روسيا العظمى في عهد (ستالين) إلى شخص واحد من أهالي كرجستان ! أين ذهب الباقون ؟ لقد تحوّلوا إلى ذيول وامتدادات لعصا الإمبراطور وقلمه ونظّارتيه، كل هذا بفعل أحد العاملين أو كليهما: الترغيب والترهيب.

بيد أنّ التوحيد لا يسمح مطلقاً بظهور أمراض اجتماعية من هذا القبيل : جنون العظمة وهوس الشهرة وعبادة المال ... الموحّد لا يرى في دائرة الوجود عوامل الترهيب والترغيب ولا المصالح والأضرار ولا الفرص السانحة حداً ! ..[1]

1- علي شزيعتي ،معرفة الإسلام، ص125

❋ الزهد السلبي:

*الزهد نوع من الاستحمار، لأنّه يأمر الإنسان أن يترك حقوقه الاجتماعية، وحاجاته الطبيعية على حدة، ويقطع حبل الأمل منها جميعا! ويبقى الإنسان مرتبطًا بحاجات بسيطة جدًا، لا تتجاوز حاجات الحيوان. وكذلك أيضًا يسلب الدراية النفسية، ويمسخ حق الفرد في أن يتمتع كإنسان بجميع المواهب والنعم التي خلقت له في الدنيا، وليس لأحد أن يمنعه من التمتع بها، ويُسبب حيلة للانزواء والقناعة بلوزة عن الطعام، فيمن بها الزاهد على الله في أنّه ارتكب هذه الحماقة، ويدعو الناس جميعًا إلى ترك حقوقهم، والتخلص من حطام الدنيا لصالح أعدائهم، أهل المطامع والأحراص.(ولذا ترى الزهد وسيلة لتنفيذ الظلم).[1]

❋ طوق النجاة الفردي مقابل الجماعي:

هذا الاعتزاز بالماضي، واللجوء إلى القضاء والقدر، والشفاعة والثواب والشكر، والتشويش والاضطراب من الذنب والفوز الفردي بالجنة، كله من أدوات الاستعمار القديم. إما أن يتابع الإنسان أعماله لنفسه منفردًا ويدخل الجنة وحده! يقرأ الأوراد ثم الجنة! طيّب لكن ماذا عن الناس ؟ ينقطع عن الناس؟

1- (علي شريعتي، النباهة والاستحمار ،ص114)

وجد طريقه في كتب الأدعية! كل من يعمل هذه الأعمال يدخل الجنة! أي طريق نجاة فردي لدخول الجنة!....وهذا أكبر استحمار! وأكبر مصيبة تصيب المجتمعات الدينية، وهي أن تقع في الاستحمار عن طريق الأديان المحرّفة.[1]

❋ محدودية الرؤية و سوء التقدير:

حينما يقع اصطدام في مجتمع ما، ينبغي أن ينظر إليه، هل يرتبط (بالدراية الإنسانية) و(الدراية الاجتماعية) أم بشيء آخر. كم من مسائل فكرية فقهية ودينية وغير دينية وفلسفية وعلمية تعرض الآن على الأفكار و الأذهان بشكل كاذب ومحرّف!؟ كم من محاورات ونزاعات أجريت حول بعض الكلمات العربية الدخيلة على اللغة الفارسية! أصرّوا على حذف الكلمات العربية من جذورها في اللغة الفارسية! حسن، ما سيكون بعد حذفها؟ لا شيء غير التزاع والجدل مدة من الزمن على حذف الكلمات، ثم العجز عن الكلام الصحيح والتصنّع بالبكم والخرس! تحملنا متاعب إلى يومنا هذا حتى بنينا لغة فارسية بليغة، وينبغي الآن أن ننقيها! حسن وبعد ذلك؟ لا شيء! سفه وتفه والقضية شيء آخر! القضية الحقيقية شيء آخر ! والحرب الحقيقية حرب أخرى. لكن الصياح وأصوات الاعتراض تنادي دائمًا: أيها الناس إن الفاقة والبؤس هو سبب الجهل وعلة جهلنا و خطنا! حسن، ماذا علينا أن

1- (علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص.ص120-119)

خطها
الصين
عداد
كما أن
ين أنتم
معركة

ي

حيث
بالحرية
(النباهة
ية، في
اما، ثم
ي يعلم
لذي لا
كر الله

❋ الشخصية المقهورة:

لتنبذ كل المظاهر والجدالات والأهواء والجاذبيات التي مزقت حياتنا اليومية.ضحية لنا ولشهواتنا وأعدائنا وأحقادنا وحسراتنا اليومية. تلك الأمور السخيفة المنحطة المحقرة للإنسان، التي جعلته لعبة جسدت فيه خصائص حيوانات، كالفأر والذئب والخنزير، لأنّه نسي سيادته وعزته وآدميته وخلافته لله في أرضه. نسي قابليته وقيمه التي لم تُعط لغيره، واستهلك نفسه، وبذلها ،وضحى بها، وعبدها لغيره، وتملّق بسهولة، ولم يشعر أنّه ضحى بكل إنسانيته بالثناء الكاذب على الغير، من أجل الحصول على بغيته؛ إنّه خسران مهما ربح! لأنّ الإنسان إذا قتل شخصًا فإنّه يبقى إنسانًا وإن كان قاتلاً، بينما الذي يطأطئ رأسه أمام غيره، أو يتملق له لا يبقى إنسانًا! لكنه لا يشعر. يعد السرقة والقتل أمرًا قبيحًا بينما لا يستقبح التملق. لأنّه يخسر شيئًا في تعبده وخضوعه للغير لا يعرف ثمنه.[1].

❋ العجز المكتسب:

قيمة كل أحد بقدر إيمانه بنفسه. كم حقرونا! انظروا إلى أنظمتنا التربوية والاجتماعية! لقد حقرونا إلى حد حيث أصبحنا لا نؤمن بقابليات قدراتنا...أي أنكرنا ذلك الإنكار الذي تأباه حتى فراخ الحيوانات، فهي تأبى أن ترى أنفسها عاجزة إلى هذا الحد! نحن عاجزون

1- (علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص.ص84-83)

عن الانتقاد، عن الاستفسار، وحتى عن الكلام! أصبحنا وملؤنا عدم الصلاحية، لا نجرؤ أن نتصور أننا قادرون على أي عمل صغير! هكذا وإلى هذا الحد نحن حقراء غير مؤمنين بأنفسنا!.[1]

الجيل الذي يستحقر نفسه بنفسه يكون حقيرا أيضا. فسياسة الاستبعاد والاسترقاق تقتضي التحقير أولا..أي يحقر الذي يراد استرقاقه، حتى يظن أنه من طبقة دنية وأسرة منحطة، ثم يتقبل الذلة بكامل الرحب، ويلجأ للعبودية والاسترقاق.[2]

❋ التأويل المضلل للقرآن:

إنّ ما يدعو للأسف تأثر عقول معظم العلماء المسلمين بالنزعة اليونانية، ما أدى بهم إلى أن يكونوا ماهرين للغاية في تأويل القرآن، حتى ما كان منه آيات محكمات، وقد صنفوا الأوامر الصريحة الواردة في القرآن إلى صنفين :

1-الأمر الإنشائي :نظير ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة/43] وهذا النوع من الأوامر لابد من امتثاله والانقياد له.

2- الأمر الإرشادي: نظير﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[النحل/36] وهذا ما لا يجب امتثاله، إذ المراد فيه بيان أهمية المأمور به لاغير !

1- النباهة والاستحمار،ص86

2- علي شريعتي،النباهة والاستحمار، ص86

إن هذا النمط من التفكير هو الذي قادنا وأوصلنا إلى الحال التي نحن عليها الآن، حيث نرتقي المنبر يوميًا للحديث عن أهل العلم ونؤلف في ذلك كتبًا ومجلدات، دون أن نعكف فعلا على اكتساب العلم وتحصيله، وذلك إن العلم بالتعليم إرشادي لا إنشائي !.

إنّ هذه التأويلات (المتنورة) المضللة لهي أخطر ألف مرة مما ألحقه الاجتياح المغولي بالإسلام والمسلمين من خسائر فادحة أورثت مجتمعاتنا الجهل والتعاسة والبؤس ..[1]

1- علي شريعتي ،معرفة الإسلام، ص111

«من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وماعندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة»[1]

الفصل الثاني

اليد الخفية

1- مصطفى السباعي،الاستشراق والمستشرقون،ص22



❋ محو الذاكرة التاريخية :

أول ما فعل الاستعمار خاصة في المجتمعات ذات الحضارة التاريخية ذات الجذور، هو أنه فصل الجيل الحالي عن تاريخه، ووفق في هذا الأمر لدرجة أن العصريين في هذا المجتمع لم تعد لهم أية صلة بماضيهم، ولم يعودوا يعرفونه، ولا يفهمون منه إلا قدماً قديماً منحطاً وغامضاً (لا شيء يذكر فيه إلا ويعد نبشاً للقبور وغيبة للموتى وتناولاً لكل ما هو نخر وخرافي ومعدوم بل ويسمى الميل إليه بالرجعية أي الاهتمام بالماضي دون المستقبل)، وكان من أمرهم أنهم بينما اهتموا بإحياء آثارهم الماضية التي لا قيمة لها وحفظها والتعريف بها إلى درجة أنهم يعرضون السروال الداخلي لعشيقة نابليون في متحف، وفي سنوات الحرب بينما كانت مدن أوروبا تقذف بالقنابل، كانوا يحافظون على آثارهم التاريخية مضحين بالأرواح والأموال، وكانوا ينقلون تذكارات الماضي تحت قصف القنابل ودانات المدافع من المتاحف إلى المخابئ الجبلية، بل وأنفق كثير من علمائهم وباحثيهم أعمارهم كلها في خرائب شوش وبعلبك وجراح وبين النهرين وصحراء بلاد العرب المحرقة ومصر واليمن وإفريقيا وتركيستان والصين... وفي أقصى العالم وأدناه في استخراج الآثار القديمة وكشف الخطوط المجهولة ومعرفة ملامح تواريخ كل الأمم، وكان بعضهم يمضي على مدى ثلاثة أجيال متعاقبة في هذه

الخرائب النائية، بينما هم كذلك نجد عصريينا الذين يشبهون الأوروبيين أي هؤلاء المتشبهين أنفسهم صنيعة الاستعمار تضطرب أحوالهم من كل ما يتأتى منه رائحة القدم والاهتراء، لأنهم كانوا قد اكتشفوا أن هذه الآثار المشؤومة هي التي أصابتنا بالانحطاط والتأخر. ولأنهم ضاقوا بعرقهم وتاريخهم فإنهم يعادون عداوة شديدة كل ما يذكرهم به، ولما كان يذكرهم بمركب النقص عندهم أخذوا يجاهدون في محوه وتجاهله، وأخذوا يعتبرون التاريخ اتجاهاً مناقضاً للمستقبل وعاملاً مضاداً للتقدم والنمو.

ومن ناحية أخرى فإن غالبية الشعوب التي كانت قد فصلت عن تاريخها وثقافتها قد تدهورت إلى مستوى أمم بدائية جاهلة فاقدة للحضارة والثقافة، لأنه على حدّ قول شاندل :«إنّ أحد أوجه التميز التي تميز المتحضر عن البدائي هو أن يكون له ضمير تاريخي ومعرفة بالتاريخ وعشق له». فالتاريخ حقيقة عميقة متعالية يستطيع أن يفهمها فحسب إحساس مهذب وفكر منطقي متكامل عند إنسان متحضر ومتقدّم، وقد لاحظت هذه النقطة بعيني رأسي عند قيامي بأداء فريضة الحج، وكم هو سخيف ومثير للأسف، فالتحديث الأمريكي الشكل الذي فرض على البدو فجأة في السنوات الأخيرة، وأموال النفط وإلغاء الجمارك أو دفع الضرائب على السلع المستوردة، أمور حولت مكة والمدينة إلى سوقين حرين للبضائع الممتازة للرأسمالية الأمريكية

والأوروبية، وأغرقت السيارات من آخر طراز الكريزلر والشيفروليه ذات السلندرات الثمانية وأجهزة الراديو والتلفزيون والأقمشة وآلاف الأنواع من البضائع الفاخرة ولوازم الزينة من إنتاج موجريت ستور وكريستيان ديور كعبة إبراهيم وحرم الرسول، وأحدثت نوعاً من الحياة البورجوازية الصناعية من النوع الأمريكي بين الأقلية من سكان المدينة في مجتمع بدوي ما يزال يعيش في مرحلة القبلية، وما يزال نظام الإنتاج فيه ومستوى ثقافته على ما كان عليه في الجاهلية، وكما نرى في أنماطنا الجديدة العصرية المتبرجزة، نرى بدوياً يسقط في حياة استهلاك لامعة متأوربة، ويفرط بطريقة مضحكة، وعلى حد قول المرحوم آية الله زاده نوري: «لأنه أتى متأخراً فإنه يسرع في سيره»، فهو يعالج مركب الحرمان والنقص والتأخير عنده بمبالغة مدهشة في الاستهلاك وقبول ما يفرض والتقليد... هم أيضاً نموذج بارز للبدو الذين دخلوا مرحلة التحديث دون مقدمات وحياتهم مثال بارز على «فرض الاستهلاك البورجوازي الحديث على النظام الإنتاجي الكلاسيكي»[1]، وبحرص وحقد وخصومة مجنونة قاموا بجنون بمحو كل الآثار لقديمة والتذكارات التاريخية المليئة بالمفاخر الإسلامية، وحتى السمات العزيزة للحياة الخاصة والاجتماعية عند رسول الإسلام والخلفاء الراشدين.[2]

1- هذا هو ما سوى مزارعنا النضرة وحدائقنا المشهورة بالأرض، تلك المزارع والحدائق التي كان جيد وماسنيون وجوته يذكرونها بحسرة.

2- (علي شريعتي ،عودة إلى الذات، ص.ص115_117)

❋ إلغاء الضمير التاريخي :

إنّ الضمير التاريخي خصيصة من خصائص الروح المتحضرة، والمحافظة على هذه الآثار وإحيائها ومعرفتها يدلّ على الماضي المستمر والقرون والأجيال الدفينة، ليس لها فحسب قيمة عاطفية أو فنية أو علمية، لكنها تهب التحقق لتداوم تيار التاريخ والارتباط الثقافي والروح القومية. والاتصال التاريخي هو الذي يحقق رباط الجيل الحالي بماضيه الذي تشكلت فيه شخصيته. وقد قام الاستعمار بجهود علمية ومتصلة بعلم الاجتماع ومعقّدة جداً وغامضة لكي يضع «أشباه متحضريه» في الأمم الإسلامية المتحضرة وفي الهند والصين بطريقة تجعلهم يعتبرون التقدم والعصرية نقيضين للتقاليد والتاريخ، وباسم الواقعية والتقدم، يقومون بإلغاء ماضيهم ومحو تاريخهم، ويهربون منهما بحقد وكراهية شديدين دليلاً على العصرية وتقدم الفكر.[1]

❋ السؤال الذي لايحتمل التأجيل :

ينبغي إذن أن يصير هذا اللغز مفهوماً وهو: كيف يقوم الاستعمار بتحويل صيده — أي أولئك الذين يريد أن يجعلهم مستهلكين مستأنسين متقبلين لأوامره كيف يقوم بتحويلهم إلى متشبهين؟ في باريس[2].

1- (علي شريعتي، عودة إلى الذات ، ص 120)

2- المترجم: أورد الناشر مقتطفات من أقوال سارتر في هذا الموضوع، ووردت بشكل موسع في «المفكر ومسؤوليته في المجتمع» لشريعتي والذي ترجمته إلى العربية.
(علي شريعتي، عودة إلى الذات، ص 139-138)

❋ جدلية العلاقة بين الغربي والشرقي:

أي شيء عمل بنا الغرب نحن المسلمون، نحن الشرقيون؟ استحقروا ديننا ولغتنا وأدبنا وفكرنا وماضينا وتاريخنا وأصلنا. وكل شيء لنا استصغروه، إلى حد حتى أخذنا نحن نستهزئ بأنفسنا. أما هم فقد فضّلوا أنفسهم وأعزوها، ورفعوها إلى حدّ حتى صدّقنا أن جهودنا جميعها،وآمالنا ومساعينا ليست إلا تقربًا وامتثالاً ومماثلة وطاعة للإفرنج كي نستطيع تقليدهم في الأزياء والأطوار والحركات والكلام والمناسبات، وبلغ بنا الأمر حتى أن المثقفين منا يفخرون أنهم نسوا لغتهم الفارسية!

ما هذه السخافة؟ هكذا يفخر الإنسان في سخافته وفقدان شعوره؟ إنّه لأمر عجيب!.. لا يفخر فقط أنه تعلم اللغة الإفرنجية، بل يفخر أنه نسي لغته الأصلية!ما أشبهه بالطفل الذي تهينه أمه وتضربه، فيلجأ إليها ليأمن سخطها. فالعنصر الأفضل، والشعب الأفضل، وحتى الإنسان الأفضل يعمل على تحقير قوم أو شعب أو إنسان آخر ليسيطر عليه ويستعمره.. يعمل على تحقير دينه وإيمانه، وأدبه وفكره، وكبار رجاله وماضيه، وكل ما لديه، فيفر المهان من تلك الأمور التي سببت إهانته والاستخفاف به، ويلجأ إلى ذاك المصدر الذي شنّع عليه وأعابه، ويخرج نفسه على شاكلته لئلا يقع في مسير تهمه وتشنيعه. ومن هنا نرى أن

بعض الأشياء يتخذها الإفرنجيون بضائع استهلاكية، بينما لا نعتبرها نحن استهلاكية،بل شيئًا نموذجيا!.

15%من مجموع الأوربيين يأنسون بالتلحين الكلاسيكي أما الإيرانيين، فكلهم يحفلون بجميع أنواع التلحين!

من الذي يجرؤ أن لا يأنس بذلك؟ لماذا؟ لأنّه نموذج الطبع الأفضل والذوق المفضل، ولا يجرؤ أحد أن لا يستحسنه. فللإفرنجي أن يعرب عن رأيه بسهولة، ويقول اقطع صوت الراديو(مثلا)، إنه هذر يسبب الصداع. لكن الشرقي مرغم على استماع ما يريده الغربي إلى آخره. لأي شيء؟ لأنه نموذج من المثل الأعلى![1]

❋ فك الارتباط بالمرجعيات :

لماذا يقوم جيلنا من المفكّرين؛ وهو ملتزم وذو أيديولوجية يفكّر في مصير مجتمعه، وذو التزام اجتماعي وطبقي، بإنفاق كلّ حياته في قضيّة الشِعر الجديد والشِعر القديم والفنّ للفنّ أو لغير الفن، والسيد يونسكو والسيد جوزيف دو كاسترو، ليست أبحاث اجتماعية هذه التي يقوم بها مفكرونا بل هي أقذر أنواع الهيروين التي تزرق في دماء هذا الجيل مرّة ثانية؟، لماذا يتظاهر هذا المفكّر الذي يعتبر نفسه ملتزماً صاحب رسالة ومسؤولية بقراءة بيكيت في حين أنّ بيكيت ليس سوى «بوق عليشاه»[2] على الطريقة الغربية؟ وهو عامل التخدير نفسه الذي حقنوا

1- (علي شريعتي،النباهة والاستحمار،ص.ص87_88)

2- المترجم: يضرب بوق عليشاه في الفارسية مثلاً على الحديث ظاهر الجد والذي يبدو أنه يحتوي على فكر في حين أنه لا يعدو مجرد شقشقة لسان أو تخريف تحت تأثير مخدر، وعليشاه علم على الدرويش الذي لا يعي ما يقول.

به دماء الإيرانيين في القرنين السادس والسابع الهجريين ليسمّموا هذا الدم، فهم يستوردونه اليوم على صورة لعبة بيكيت، وعن طريقها يتظاهر مفكرونا أصحاب النظرة الطبقية والأيديولوجية العلمية، وكل ما في الأمر أن بيكيت إنسان لا علاقة له بي ولا بتلك الذات، أما أبو ذر بالرغم من أنه رجل ثوري من الناحية الإنسانية والاجتماعية وحتى الطبقية ومنطلقه منطلق طبقي، فلأنه منسوب إلينا، منسوب إلى تلك الذات، علينا أن نهرب منه. من هنا قاموا بمسخ ماضينا أمام عيوننا، لكنهم بالنسبة للإفريقي محوا ماضيه تماماً.[1]

❋ العلاقة الوهمية بين المستعمِر والمستعمَر:

إلى أيّ ذات نعود؟ إلى أيّ ذات؟ هل نغرق في مفهوم وهميّ مطلق يُسمى: الإنسانية؟ أو العالمية اليوم كذبة يُراد بها محو الشخصية الثقافية الحقيقيّة للجميع، حتى تَمَّحي في إنسانيّة وهميّة كاذبة لا وجود لها، إنّ الإنسانية تعني اشتراك كلّ الأمم في معنى واحد وفي حقيقة واحدة، أي: اشتراك الإنسان خاوي الوفاض مع الإنسان الرأسمالي، اشتراكنا نحن المحلّيين المفرغين من ذواتنا والمفترقين إلى ثقافة معك أنت الذي يعد كل وجودك ملكاً لك، وحينذاك سوف تكون العلاقة بيننا علاقة السيد بالتابع، علاقة أحد طرفيها مفلس وعامل وأداة، والطرف الآخر غني ورأسمالي. ومن هنا فالغربيّ فقط هو من له وجود أو بتعبير

1-(علي شريعتي، عودة إلى الذات ص.ص 46-45)

سارتر:((يوجد فقط خمسمائة مليون من البشر ومليارات ونصف من المحليّين))، ويعتبر الاستعمار: الفرق بين الإنسان والمحلي هو الفرق بين الغربي والشرقي. إذن: إذا أراد الشرقيّ أن يكون شريكاً مع الغربي على أساس «الإنسانية» يكون قد أذاب نفسه وشخصيّته الحقيقيّة في نظام وهميّ عابد للبشر وكاذب وخيالي، ومحا شخصيّته الأصيلة وأصالته الذاتية، وطالما ظللنا على حدّ قولهم محليين وهم بشر، يعدّ أيّ نوع من الشركة الإنسانية معهم خيانة لوجودنا، وعلينا أن ننفصل عنهم وأن نتّقيهم، لأنّ علاقتهم بنا لا تعدو علاقة المستعمر بالمستعمر، وأيّة علاقة يمكن أن تكون هذه؟ علاقة من يَمتصّ بمن يُمتصّ «بضم الياء»، بين من يقوم بالإنتاج وبين من ينبغي عليه أن يستهلك، بين من ينبغي أن يتحدّث ومن ينبغي أن يسمع، بين من عليه أن يتحرّك وبين من عليه أن يتبع ويقلّد، علاقة بين قطبين متنافرين، ومن ثمّ فهي ليست علاقة في الحقيقة بل رباط كاذب لا وجود له، مثل علاقات من قبيل العرقية والأخوة الوطنية.. وكلّ هذه علاقات كاذبة يُراد إقامتها بين قطبين عدوّين متنافرين لصالح القوي ولضرر الضعيف، هذه ليست علاقة وإن وُجدت فهي عداوة، فمن المسلّم به أن الدودة التي تمتصّ تكون شريكة في دم الإنسان الذي تقوم بامتصاصه، هذه الشركة في الدم شركة بين عدوّين.[1]

1- علي شريعتي، عودة إلى الذات، ص 48-47

❋ إنكار الذات:

وهذا مبدأ مسلم به في علم النفس أن الفرد الذي لا شخصية له ولا أصالة عنده والتابع الذي لا قيمة له، يقوم دائماً عن طريق التقرب والتظاهر والتقليد بتعويض نقصه نفسياً، وعن طريق إلغاء نفسه وكل ما هو منسوب إلى نفسه وإنكارها وتحقيرها، والفرار من كل ما يذكره بنفسه وبماضيه، وعن طريق التشبه بالآخرين يبحث لنفسه عن شخصية جديدة وصفات جديدة وقيم جديدة. ونتيجة لاكتشاف هذا المبدأ من مبادئ علم النفس قام الاستعمار الأوروبي بتخلية الأمم ذوات التاريخ العميق والثقافة العالمية من محتواها وفصلها عن تاريخها وجعلها غريبة عن ثقافتها وبعيدة عن نفسها عن طريق الحيل العلمية الدقيقة وعلم الاجتماع المعقد الذكي، بحيث لا تجد شيئاً داخلها ولا تعرفه، فيقوم بمسخ تاريخها وثقافتها وكل قيمها المعنوية والتقليدية وتحقيرها، وعندما أصبحت هذه الأمم لا تعرف شيئاً عنها، أصبح من العسير أن تصدق أنه كان لديها. وعندما حقق الاستعمار هذا الهدف من أجل دخوله وسيطرته وغارته وإيقاع الأمم في أسره لم يعد لديه شيء آخر يقوم به، ذلك لأن الأمم نفسها جاهدت بكراهية وحقد خارقين للعادة في تخريب أنفسها بقدر ما تستطيع، وتحقير دينها وأخلاقها وأصالتها التي مسخت، وبشوق وإصرار ألقت بأنفسها في أحضان الأوروبيين،

بل وتظاهرت بالضيق من نفسها وكتمان الروابط الثقافية والقومية والتاريخية عندها، والتوسل بالخصائص الأوروبية والتسليم للقيم التي كان الاستعمار يجاهد في فرضها عليها، وهي – أي الأمم – التي كانت ثقافتها وشخصيتها تلغى من قبل المستعمر، قامت بإلقاء نفسها لائذة بالمستعمر، متشبهة به لتأمين هجومه، هذه هي الجدلية التي اكتشفها سوردل وإيما سيزار في العلاقة الثقافية والإنسانية بين المستعمر «بكسر الميم» والمستعمر «بفتحها»، لأن الطفل عندما يتعرض لغضب أمه، يلجأ إليها هي نفسها من أجل أن يقاومها، ويلقي بنفسه في أحضانها.[1]

❋ حمى الاستهلاك:

التقدم في الاستهلاك:

ما هو التجمل ؟ هو التقدم في الاستهلاك، الشيء الذي يقضون علينا من أجله ليسلبوا منا أمل الإنتاج وطالعه! من الناحية الفكرية والاقتصادية والفنية.

نعم، الشرق كله ضحية الإنتاج الاستهلاكي. كيف؟ وبأي شيء؟ بواسطة الإتباع! التقليد الأعمى!.[2]

ثقافة الاستهلاك:

«عندما يقول أحدنا سعيداً: حسناً قد صرت متحضراً، يبتسم هذا الرأسمالي الغربي بانتصار وهو يقول: نعم، وجدت مستهلكاً جديداً».[3]

1- علي شريعتي، عودة إلى الذات، ص108
2- علي شريعتي ،النباهة والاستحمار، ص143
3- علي شريعتي ،العودة إلى الذات، ص 126

عصرنه الشكل وخواء المضمون :

العصري هو الإنسان الذي سلبوا منه كل ما يملك وحولوه إلى «بطن» حريص ملتصق بأجهزة الإنتاج الصناعية للرأسمالية العالمية. فحسب.[1]

❋ شغلك بما ليس هو أولى :

إنّ المستعمرين لا يدعونك لما تستاء منه دائمًا، فيثيرون انزجارك فتنفر منهم إلى المكان الذي ينبغي أن تصير إليه! بل يختارون دعوتك حسب حاجتهم ، فيدعونك أحيانًا إلى ما تعتقده أمرًا طيبًا من أجل القضاء على حق كبير، حق مجتمع أو إنسان ، وأحيانًا تدعى لتنشغل في حق آخر، فيقضون هم على حق آخر هو أولى.

إنه لمن سوء الحظ أن لا ندرك ما يراد بنا، فيصرفوننا عما ينبغي أن نفكر فيه من مصير مجتمعنا، أو أفكر فيه أنا من مصيري(كإنسان) إلى أن نفكر في أشياء نحسبها راقية جدًا وعظيمة ومشرفة، فيصيبون الهدف دون أن نشعر! ومن أجل هذا قلت في مكان آخر: (إذا لم تكن حاضر الذهن في (الموقف)، فكن أينما أردت. المهم أنك لم تحضر الموقف).[2]

1- علي شريعتي، عودة إلى الذات، ص106

2- (علي شريعتي،النباهة والاستحمار،ص 101)

❋ الاستشراق:

أغلب مستشرقينا يوجّهون كل اهتمامهم لمخطوطات الصوفيّة عندنا ويحقّقون الواحدة منها عشرات المرّات (في حين أنّ 79% من مخطوطاتنا العلمية تتحلّل في المكتبات وتأكلها الفئران ولا يعلم عنها أحد شيئاً)، هذا من أجل أن يجعلوا الشرقيّ يفهم أنه كان يهتمّ فحسب بالأحاسيس المجرّدة الأثيرية الغيبية، وعليه عندما يعود إلى الحياة ويترل إلى الأرض أن يتبع نظمهم، فهو محتاج إلى سلعهم الاستهلاكية. [1]

1- علي شريعتي ،العودة إلى الذات، ص .ص42-41

«الإنسانية تحتاج إلى ثلاثة أمور:تأويل الكون تأويلاً روحياً، وتحرير روح الفرد، ووضع مبادئ أساسية ذات أهمية عالية توجه تطور المجتمع الإنساني على أساس روحي، ولاشك في أن أوربة في العصر الحديث قد أقامت نظماً مثالية على هذه الأسس، لكن التجربة بينت أن الحقيقة التي يكشفها العقل المحض لا قدرة لها على إشعال جذوة الإيمان الصادق، تلك الجذوة التي يستطيع الدين وحده أن يشعله»[1]

الفصل الثالث

الغرب و الشرق

1- محمد إقبال،تجديد التفكير الديني،ص16



❋ مادية الغرب وروحانية الشرق:

تصدير ثقافة الغرب وفلسفته وحضارته إلى الشرق مضحك ولا معنى له، يشبه تماماً إرسال «الضوابط الأخلاقية» لأوروبا البورجوازية ودينها التجاري عابد المال إلى شرق لاوتسي وكنفشيوس ومهابيرا وويدا وبوذا وزرادشت وإبراهيم ويحيى وهود ونوح وموسى ومحمد وعلي، أي: إلى الأرض التي تعد البنية التحتية فيها هي الأخلاق، وروح حضارتها المادية وعلومها الدنيوية قائمة على الروحانيات، وإلى القوم الذين صاروا ضحايا لأخلاقهم ووفائهم للروح والمعنى في التسلط العالمي للقوة والصناعة وعبادة المال وقاعدة القوة.[1]

❋ الصور المتبادلة بين الغرب و الشرق:

أولئك ألمان وفرنسيون وإنجليز، وهؤلاء إيرانيون وأفغان وترك وعرب.. أولئك غربيون، وهؤلاء شرقيون.

أولئك ذوو رؤية غالباً ما هي قائمة على الحساب والمصلحة، ومنطلقون من مبدئية الكسب، وهؤلاء ميالون غالباً إلى العاطفة وعُبّاد للحقيقة ومنطلقون من مبدئية «القيمة». أولئك من البورليتاريا الصناعية وهؤلاء مزارعون قرويّون وما دون بوليتاريا هناك شكلت طبقة العمال وشملت كل أعضاء المجتمع، واتسعت وتعمقت وغلظت وتكثّفت

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص 159

واكتسبت ثقافتها ولغاها وسماها ورموزها وعاداها، وهنا مجرّد جماعات متفرّقة وفي أركان مختلفة من العمال الصناعيين، وأفرادها في الغالب الجيل الأول من العمال، وكانوا من قبل فلاحين أو عمالاً زراعيين هاجروا إلى المدينة.

هناك بلغوا مرحلة الصناعة الثقيلة، وهنا ما يزال معنى الصناعة عندهم معنى استهلاكياً وأغلبه «رمزي»[1]، وهم يبرّرونه ويتجهون فيه وجهة غربية واستيرادية، وأحياناً توجد بضع مصانع للتجميع أو الإنتاج الجزئي الحقير للسلع الاستهلاكية قليلة القيمة. هناك انتقلوا من البورجوازية إلى الرأسمالية ثم من الرأسمالية إلى آخر مراحلها، أي: الإمبريالية والاستعمار، وتطوّروا من مرحلة تصدير السلعة إلى مرحلة تصدير المصنع بل وأحياناً تصدير رأس المال. أما هنا فالبورجوازية الجديدة ما تزال في مرحلة «السمسرة» يقوم بها عدد من وكلاء البيع المتعاقدين مع الشركات الغربية.

هناك، أدت الليبرالية والديمقراطية لعدم تآلفهما الفطري مع الرأسمالية إلى أنواع الفاشية، وأصبحت الحرية عندهم تعني حرية التجارة وحرية رأس المال غير المقيد والتحرر من القوانين والقيود الجمركية. أما الحرية هنا فذات مفاهيم مفعمة بالحياة والثورة أخلاقية وإنسانية ومطالبة بالعدالة ومقدسة.[2]

1- الاستهلاك الرمزي: الموبيليا والتلفزيون وشاطئ البحر والموسيقى الغربية وأعياد الميلاد والذهاب إلى قاعة الرودكي للموسيقى... وهو بالنسبة للكثيرين منا ليس استهلاكاً حقيقياً، إننا نحس فيه فحسب بأوجه اشتراك مع البشر الأعلى في الغرب الذي نحسّ باحتقاره لنا في داخلنا.

2- علي شريعتي،العودة إلى الذات، ص 76

هناك: تركوا القرون الوسطى خلف ظهورهم منذ ثلاثة قرون، وهنا ما يزالون يعيشون في معمعتها.

هناك قاموا بالثورة الفرنسية منذ قرنين، أما هنا فما تزال ترجمة «روح القوانين» لمونتسكيو كتاباً جديداً وعميقاً ومكتشفاً بالنسبة للعلماء والمفكرين المستنيرين، أما دائرة معارف فولتير، فلم يسمع عنها أحد شيئاً.

هناك قاموا بالثورة الصناعية منذ قرنين في إنجلترا، وأصبح شعارهم الآن «الموت للآلة» تضامناً مع العمال، وهنا بعد قرنين: إدخال الآلة يعني آلات من صنع أوروبا ومن تخريب هنا وأمل العاطلين: مجيء الآلة.[1]

هناك: المتعلّمون أناس ذوو وعي اجتماعي ورؤية نقدية وفكر وأيديولوجية وتعاطف مع الناس وسلوك مضاد للأرستقراطية ومضاد للبورجوازية وعواطف عالمية إنسانية بدرجات متفاوتة، وهنا: المتعلّمون أشخاص يذهبون إلى الجامعة عدّة سنوات ويعودون منها، ويمتحنون تبعاً لذلك ويأخذون التقديرات طبقاً لحضورهم، ويأخذون شهادات الفراغ من الرسائل المملاة و«إبدال النسخ المطبوعة إلى نسخ مخطوطة أو مصورة»، وبها يدخلون في خدمة الحكومة، ويشتركون في المحافل والمدارس الخاصة القاصرة على الأصدقاء والرفاق، يتبوّؤون المناصب

1- علي شريعتي، عودة إلى الذات، ص 77

ويقبضون النقود، ويحلّون محل «السادة الحجاج» التجار السابقين واليهود الأسبقين والأشراف المفلسين القدماء[1].

هناك يحيا أستاذ الجامعة على أنه أعلى مقاماً وأشرف من الجنرال «ديجول»، وهنا يرضى حتى بتعيينه في «الرئاسة العامّة للأمور المتعلّقة بحفظ الأموال والأثاث والإشراف على نظافة الأماكن الخاصة في الكلية».[2]

هناك يقرأ كلّ فرد عادي كل يوم شيئاً في المتوسط ما هو مقداره أحد كتب الجيب في سلسلة «ماذا أعلم»، وهنا يقرأ كل إيراني سنوياً ما يستغرق ثلاث ثوان ونصف من وقته، والرجال الفضلاء الجامعيون والمفكرون المستنيرون فيه أيضاً يقرؤون «زن روز» و«بر سردوراهي: في مفترق طريقين».

هناك بلغت الثقافة العامة مستوى بحيث يعتبر نتاج ثماني وعشرين سنة من البحث لنابغة مثل ماسنيون عن «سلمان الفارسي» مجرد محاضرة بالنسبة للطالب الفرنسي، وهنا تعد ترجمته الفارسية بالنسبة للإيرانيين

1- أحياناً يقوم طبيب صحة في القرية وحده برسالة أربعة من المستخدمين التقليديين أي: الخان والآخوند «رجل الدين» والشرطي والسارق المسلح، يقوم بها على أكمل وجه بل يزيد. وقبل ظهور هذه «الطبقة الجديدة» كان كل منزل ملفت للنظر أو حديقة عامرة أو عقار غال على ناصيتين تراه وتسأل عن مالكه، كان الرد: ملك الحاج فلان أو الخان فلان أو اليهودي فلان، أما الآن فيقولون: ملك الدكتور فلان أو المهندس فلان، انظروا إلى الأحياء الجديدة في طهران. (علي شريعتي،العودة إلى الذات، ص 77)

2- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص77

الفضلاء المسلمين الشيعة، نصاً غامضاً وغريباً وغير مفهوم، ولا يهم أحد من العلماء المهتمين بالقديم والجديد[1].

هناك: سقط الدين عاجزاً مقعداً متروياً في أركان الكنائس، ولا يقوم معارفه القدماء بزيارته إلا في أيام الآحاد، وهنا يدق نبض المجتمع على أنغامه، وبدنه مفعم بحرارة الإيمان، وتعداد الشهداء الذين يقدمهم يومياً يتجاوز تعداد مجموع الأرقام التي تقدمها كل الأيديولوجيات غير الدينية في النصف الأخير من هذا القرن.[2]

هناك يستطيع أهل الخير من الأفراد والجمعيات الخيرية والأوقاف غير الدينية أن يقفوا على أقدامهم أمام رجال الدين والأوقاف الدينية والجمعيات الدينية وينافسوهم، أما هذه الأمور هنا فهي مائة في المائة دينية، فالأوقاف قاصرة على الدين، أما المستوصفات الخيرية فأكثريتها الغالبة دينية بالرغم من أنها لم تبدأ إلا منذ عشر سنوات إلا أنها أكثر من مجموع مستوصفات جمعية الأسد والشمس الحمراء الإيرانية «الهلال الأحمر الإيراني» ووزارة الصحة ومؤسسة الخدمات الاجتماعية كما

1- اللهم إلا إذا كان المرحوم العلامة تقي زاده قد وفق في ترجمته حين ذاك، كنت ترى أي سباق احتدم بين أدبائنا وفضلائنا ومحققينا العميقين ذوي الوزن حول تقريظ مقام المترجم وتقدير مثل هذه الترجمات وتقديس مثل هذا المتن وتعظيم مثل هذا المؤلف، وتكريم... وجوائز وأية شروط وأية أوصاف وأية تحليلات دقيقة ومناقد موضوعية علمية غير مغرضة من أجل العلم في حد ذاته وقيمة البحث، لكن: عندما يأتي شاب غريب ومغمور فيقوم بهذا العمل الذي كان من المقرر أن يقوم به الأستاذ العلامة وزعيم الحركة الدستورية، لا ينشر حتى خبر صدوره في فهرس الكتب التي نشرت في إيران 1344 هـــ ش.

علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص78

2- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص78

وكيفما، وفي مقابل كل هذه المؤسسات الخيرية والأوقاف العامة والنذور والصدقات وغيرها، فإن للعصريين العلمانيين فقط نادى الأسود «ليونز» (الأشبال) ونادى آخر أصله في أمريكا لا يحضرني اسمه.[1]

هناك: ما تزال الزراعة فرعاً للإنتاج الصناعي، وهنا على العكس تماماً.

هناك: المزارع والقرى أقمار للمدن تدور في فلكها، وهنا ما تزال المدن طفيلية على القرى أو كما يقول السيد المهندس بازرجان:((مستهلكة الخبز والنبوغ وماسختهما، وكلاهما تنتجه القرية)).

هناك: يعتبر الماضي مجرّد ذكرى محترمة وعصر تاريخي، أما هنا فالماضي في حال الحضور دائماً والكلاسيكية حيّة ذات تيار وحركة وهي العصر الذي يعيش فيه قومنا.[2]

هناك: تعيش الأغلبية عصرها وينطبق الزمان الاجتماعي عندهم مع الزمان التقويمي، وهنا: أفراد معدودون فقط وبصورة فردية يعايشون عصرهم، وفي الحقيقة فإن القرن العشرين بالنسبة للأغلبية عبارة عن «خبر أجنبي» أو رقم فلكي ورياضي.

هناك: المفكّرون المستنيرون على علم بأقوامهم ومجتمعاتهم وثقافتهم، أما هنا فمجرّد أشباه لهؤلاء غرباء عن أقوامهم، وأقوامهم في دهشة يتساءلون: من هم؟ وماذا يقولون؟ وماذا يريدون؟ وفي أيّ شيء يفكرون؟ وبأي لغة يتحدثون أصلاً؟

1- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص78
2- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص79

أولئك: يعود تراثهم الفكري إلى أرسطو وحتى ديكارت، أما ماضينا فيعود إلى إبراهيم وبوذا وزرادشت وموسى ومحمد وعلي وحتى أبي علي ابن سينا والغزالي وحافظ ومولانا جلال الدين ونانك وداراشكوه وملا صدرا[1].

بورجوازيهم مفكّرون تقدّميون عصريون مضادون للكنيسة وثوريون مطالبون بالحرية، ومن أعمالهم الثورة الفرنسية الكبرى، أما بورجوازيونا الكلاسيكيون فهم عبارة عن السوق وهو عبد مطيع للمسجد، وبورجوازيونا العصريون في استسلام كامل للشركات الأجنبية. المرأة العصرية هناك ثمرة للحرية ودليل على تقدّمهم، وعندما يقومون بإحصائهنّ يقومون بذكرهنّ ضمن الشهداء الذين قدّموهم في حركة المقاومة ضدّ احتلال باريس على أيدي النازي، وضمن الأساتذة والكتّاب والمترجمين وعلماء الموسيقى وقادة الأوركسترا والمكتشفين والمخترعين والمناضلين والاجتماعيين والسياسيين والقائمين بخدمة البشر وأمور وتخصصات من هذا القبيل، أي الجهاد في المشاركة الفعالة بأكثر ما يمكن من المفاخر التي كانت في الغالب قاصرة على الرجال، أما المرأة

1- المترجم: حافظ: هو حافظ الشيرازي الشاعر الفارسي المتوفى 791هـ، ونانك: هو مؤسس طائفة السيخ أو السلك في الهند وهي من نتاج امتزاج الإسلام ببعض النحل الهندية وداراشكوه: هو محمد داراشكوه أحد الأمراء المغول المسلمين في الهند، كان مفكراً باحثاً في الأديان وحاول القيام بحركة فكرية للتآليف بين الأديان الهندية والإسلام للوصول إلى نوع من الامتزاج في الهند، وملا صدرا: هو محمد بن إبراهيم الشيرازي الملقب بصدر المتألهين وهو أحد الفلاسفة الإيرانيين العظام.
علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص79

العصرية هنا فإن الإحصائية الوحيدة التي تقدّمها كدليل دقيق لمعدّل التقدّم والتطوّر والحرية لديها، وأكثر الأناشيد الحماسية التي ينشدها إيقاعاً، ويعتبرها من الانتصارات التي اكتسبنها في طريق الحرية والتقدم إنه..[1] منذ سنة 36 (57) حتى الآن 46 (67) وفي فترة لا تزيد عن عشر سنوات تضاعفت مؤسسات التجميل والزينة وبيع لوازم الزينة والرّموش والأظافر الصناعية في طهران خمسمائة ضعفاً، وأضاء الله عيون الرأسماليين أ صحاب مؤسسات رجريت دي ستور وكريستيان ديور وميزون دي خم[2].

هناك يدور الصراع بين القديم والجديد والكلاسيكية والعصرية حول الفكر والعقيدة والرؤية الكونية والإحساس بالطريق واختياره وأسلوب

1- ناهيك عما «أعطى لها» ولن أتحدث عنه، فإن ما يؤخذ هو المعيار لا ما يعطى. سوف تعترضون قائلين: أليس الحق الذي يعطى لفرد أو لمّاعة في حد ذاته دليلاً على أنه جدير به وحقيق باكتسابه؟ أي سؤال هذا؟ إنكم ترون أن الأمر ليس هكذا، الجواب نظرياً على ذلك بالإيجاب أما عملياً فهو بالسلب. والحقيقة أحياناً لا تنطبق على الواقع، فحرية الرأي ليست في الغالب مقرونة بحرية إبدائه أو حرية التصويت، فما أكثر أصحاب الرأي الذين لا يستطيعون إبداء آرائهم، وبالعكس ما أكثر الذين يستطيعون إبداء آرائهم لكنهم لا يبدونها، وسوف تسألون: في النهاية إذا لم يكن لأحد رأي فما الذي يستطيع إبداءه؟ والجواب على حد قول المرحوم نيما يوشيج «في النهاية ليس لكل سؤال جواب».

2- هناك مبدأ في علم النفس الاستهلاكي أسميه «تداعي الاستهلاكات»، أي أنه إذا استدعى الأمر استهلاك نوع من السلع الاستهلاكية فإنه يجر معه استهلاك نوع آخر. اجعل مثلاً عاملاً يستخدم رباط عنق، فإن رباط العنق هذا لن يأخذ وحده بخناقه. وبسرعة شديدة سوف يصطحب معه ياقة منشأة وقبعة أوروبية وسترة وسروالاً وجورباً وحذاء مناسباً. وبسرعة شديدة سوف يبعد رباط العنق الغليون الشعبي عن يد صاحبه ويوقعه في تدخين السجائر، وعلى الفور يصل دور السيارة... والأثاث. هذا الرقم هو تضاعف استهلاك أدوات الزينة إلى خمسمائة ضعف دليل على تصاعد السلع الاستهلاكية الأخرى، وهو مخيف إذا قورن بمعدل ارتفاع الدخل القومي.

علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص80

الحياة والرؤية الدينية والسياسية والفلسفية والعلمية والذوقية وتذوق الفنون، أما هنا فتدور حول المحافظة على الحجاب والملاءة من ناحية، ونبذ السروال القصير وحمالة الصدر من ناحية أخرى، وفي صف: يقف الوفاء للحى والشيلان والسراويل الشعبية والكرسي وإبريق الماء.. إلخ.

وفي صف: التظاهر بإزالة اللحى، وإطالة الشعر، والانسجام الإجباري من الموسيقى الأجنبية غير المفهومة وغير المأنوسة ،ونسيان بعض الألفاظ الفارسية والعبارات المتداولة في اللغة الأم بينما كانت لغة حديث لمن يدّعي ذلك طيلة ثلاثين سنة، وذلك بعد التجول عدة شهور حول (السين والتايمز) ومشاهدة ميدان (الأوتوال) وبرج (إيفل) ورؤية الأجانب، ونبذ سجاد كاشان وكرمان من قلة الحيلة من أجل اسم «الموكيت» رسمه[1]، واعتبار البزة الأصفهانية المسماة بالترمة والتي تعمى عينا فنان في رسمها مجرد (بقجة) حمام فظة وثقيلة، وإزالة أعمال الجص المعجز في ضريح «شيخ جام» بدعوى أنها أصبحت قديمة، وتغطيته بالموزايكو الصناعية، ثم تزيين الجيد بالخرز البدائي ووضع «عراقة» الحمار على جدار الصالون الفخم كديكور عند أفراد هذا الصف من العصريين المعاصرين مستنيري الفكر وأشياعهم، ثم الاهتمام الفجائي عن طريق النقطة الرابعة لترومان ببضائعهم القديمة الجميلة الكلاسيكية، وتقليداً للرسالة العملية للمليونيرات الجهلة الذين يدعون

1- فرش مجلس شيوخ إيران – مركز السجاد في ا العالم – بسجاجيد من صنع إنجلترا.

الإحساس من الأوروبيين ونساء الجاويشات الأمريكان والمقاولين الأوروبيين والمتشردين الجهلة الذين صاروا إكراماً لشعورهم الشقراء وعيونهم الزرقاء ولكنتهم الأوروبية أقطاب الفن وحجج الفهم والمراد وأصحاب الفتيا في الفكر عند قرودنا الملمعة الجديدة يقومون بشراء تماثيل النحاس المصبوب التي يقوم الأصفهانيون الخبثاء بصبها وعليها صور رستم واسفنديار وبعض الخطوط كيفما اتفق وعرضها على السياح — الذين يعرفون الشرق بقدر ما يعرف عصريونا الغرب — على أساس أنها آثار شرقية قديمة، يقومون بشرائها وتعليقها على حيطان المترل، واعتبار الأغنية المبتذلة السوقية «بانو» للسيدة دلكش فناً إيرانياً محلياً كلاسيكياً أصيلاً، ثم إبراز السعادة والسرور —مصلحياً— من أجل كلّ هذا، وكأن الواحد منهم يريد بهذا أن يقول: «إنني —بالرغم من أن بضع نفر من أقاربي ومعارفي قد سافروا إلى الخارج وبالرغم من أنني نفسي درست لغة أوروبية عبارة عن سبعة دروس من «در اشبيجل» - ما زالت أحتفظ بأصالتي، وخلافاً لكل هؤلاء الذين فقدوا أنفسهم وأصيبوا بداء الاستغراب بقيت إيرانياً خالصاً أحب ثقافتي الأصيلة!! ولعله بذلك يمنن على فرانز فانون وإيما سيزار وسوردل وعمر مولود ونيري وكاتب ياسين وموريس دي باري وحتى علي قورش ودارا وكيكاوس وجمشيد ورستم والجميع لأنه بدلاً من أن يأكل الطعام الأوروبي مثل الجيجو والراجو والشاتوبريان والبفتيك والأستروبيف

لا يزال يحب لحم الرأس والأكارع وأحياناً يأكلها مع «الويسكي» في الحفلات، وبلغت به القومية والأصالة والعودة إلى الذات ومناضلة الغرب والاستقلال في الذوق والفكر والفلسفة أنه مواجهة للحضارة الأوروبية المحيرة اليوم قد بلغ حداً جعله مستعداً للجلوس مستدفئاً بواسطة «الكرسي» بل إنه يفعلها أحياناً، بل وينوي في السنة القادمة أن يضع في غرفة جلوسه «كرسياً» يعمل بالكهرباء، وأن تدخن زوجته في السهرات الغليون الشعبي.

هناك: يوجد أساس ثقافي عقلاني ومادي ومؤسساتي وميال إلى العينية وعابد للكسب ويوناني، وهنا: يوجد أساس ثقافي روحاني معنوي جماعي ميال إلى التجريد والذهنية عابد للقيم.

هناك يتعاملون مع دين هو دين العبودية وتبرير الضعف والفقر والزهد والأمر بتقبل القتل، ومظهره الصليب، يعني أداة القتل لنظام من صنف نظام القيصر، وهنا دين يدعو إلى العزة والجهاد والقوة والتمتع أيضاً بالمادة ويأمر بالقصاص، يبدل بسرعة شديدة فئة من الأذلاء المتفرقين إلى قوة مهاجمة طالبة للعدل وتدعي القيمومة على الدنيا ومظهره السيف، السيف والكتاب.

هناك: يضحي شهيدهم المسيح بنفسه لحسابات غرامية وخاصة بينه وبين الله، أما هنا فمسيحهم يستشهد في انتفاضة ضد الظلم ومن أجل تحرير الناس، والخلاصة أن قاتل شهيدهم هو الله، وقاتله هنا هو يزيد،

ومن هنا يقدسون هناك المشنقة (الصليب) الذي صلب الجلاد مسيحهم عليه واختاروه رمزاً مقدساً لدينهم، وهذا أمر مخيف بالنسبة لشيعي ولا يصدق، وفي الوقت نفسه دال على السذاجة المتناهية التي يتصف بها خراف السيد المسيح، ويشبه مثلاً أن يقوم شيعي بتعليق سيف شمر على صدره وتقبيله ونصبه فوق حسينياته وتكاياه، وبدلاً من «ذي الفقار» سيدنا علي، يجعل رمزه الديني السيف المسمم لابن ملجم[1].

هناك: يعيش إمامه (البابا) في بلاط يخطف أبصار رئيس الولايات المتحدة، ويلبس قطيفة يذوب منها قلوب إليزابيت تايلور حسداً ويتمتع بثروة تجعله يشفق على فقر أوناسيس، وهنا: يموت آية الله البروجردي مديناً وفي مترل شديد التواضع، ويعتبر حاجي شيخ عبد الكريم مؤسس المركز العلمي في قم حساء اللحم كل ليلة من قبيل الإسراف[2].

هناك: يعتبر رجل الدين طليعة الاستعمار ورائده، وهنا: ضحية للغرب والاستعمار وطليعة كل الحركات المضادة للاستعمار.

هناك: للكاردينال مقام يهبط تماماً فوق رؤوس الخلق، وهنا يخرج رجال الدين من بين الناس، وينتخبهم الناس، وهم أحرار في قبوله.

هناك: الكنيسة مخدع للروح واستراحة للمؤمن.. وهنا: المسجد! اللهم إلا إذا لم يكن مسجداً، كان المسجد منبع كل الثورات والحركات والانتفاضات الشعبية.

1- ابن ملجم قاتل سيدنا علي، وشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين وذو الفقار سيف الإمام علي.

2- آية الله البروجردي مرجع الشيعة الأعظم وأستاذ آية الله الخميني وحاجي شيخ عبد الكريم الحائري مؤسس المركز الديني في قم 1340هـ. وأستاذ آية الله الخميني. المترجم.

هناك: يتحدثون عن الشراب الذي يصير دماً، وهنا يتحدثون عن الدم الذي يصير ناراً هناك يعظ بولس الرسول قائلاً:((ابحثوا عن الله في الجوع واشكروا من يخطف خبزكم لأنه قد أجلسكم على مائدة العشاء الأخير إلى جوار إلهنا المسيح)). وهنا يصيح أبو ذر باستنكار غاضب: ((عجبت لمن لا يجد قوت يومه، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟)) ويعلن رسوله بحسم «من لا معاش له لا معاد له».

هناك: الأرستقراطية ذات جذور ونظام طبقي شديد وإقطاع متقدم، والدين هو البنية التحتية لهذا النظام الاجتماعي، وهنا: الأرستقراطية لا جذور لها، ودائماً ما هي حديثة الظهور، ولم يكن الإقطاع موجوداً في الأصل، وبدلاً منه كان هناك نظام إنتاجي يسميه ماركس نفسه «نظام الإنتاج الآسيوي» وليس إقطاعاً. والدين دائماً ما كان في صدام فكري وأحياناً عملي مع أخلاق الأرستقراطية وتكون الطبقات.

هناك: كانت العبودية تصنع طبقة واسعة اجتماعية، وكانت أعظم قوى الإنتاج، بل وكانت موجودة إلى قرن مضى «في روسيا إلى قبيل ثورة أكتوبر»، أما هنا: فقد قام الإسلام بإيجاد جو لا يساعد على ظهورها من الناحية القانونية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية والفكرية بحيث جفت جذورها، وعندما ظهرت ثانية في عصر المغول لم تتشكل أبداً في صورة طبقة اجتماعية وقوة منتجة، وفي الغالب كانت ذات طابع رفاهي وللخدمة، وتثبت الثقافة الإسلامية ويثبت

الرجال المسلمون المشاهي، أنه في ظل الثقافة والتعليم والتربية الحرة الإسلامية كيف كان العبيد يستطيعون بأسرع ما يمكن نيل حريتهم، والبلوغ بأنفسهم مستوى الشخصيات البارزة، بل والقيام بأعظم الأدوار العسكرية والسياسية والعلمية خاصة في المجتمع، ومما هو مثير للدهشة أنه في أوج ازدهار الحضارة الإسلامية وعالمية القوة الإسلامية نرى أن أكثرية المواهب العلمية والفقهية والمناصب القضائية والدينية وحتى الإمامة في العالم الإسلامي العظيم تبوأها الموالي، بدرجة تبين أن عهد ازدهار الإسلام، هو عهد التفوق الفكري للموالي على العرب.

هناك: عندهم حكومة ديمقراطية منذ ثلاثمائة وألفي عام، وفلسفة سياسية مستندة على الشعب وسيادته والسلطة اللادينية والروح القومية والرؤية الكونية والفلسفية المادية ونظام إداري مدني «بوليتيك»، وهنا: بعد ثلاثمائة وألفي سنة لا تزال الديمقراطية كلمة أوروبية غامضة، والفلسفة السياسية قائمة على سيادة «الزعيم»، ومنبع السلطة «من فوق» وذو صبغة دينية، والروح القومية غالباً ما هي تحت سيطرة الإيمان والدين، والرؤية الروحية، والعالمية المادية ذات مفهوم ممتزج بالكفر وملوث بالفساد، والنظام في الدولة قائم على الزعامة والسياسة «لا إداري».

هناك: عندهم قانون، وهنا: عندنا حكم.

هناك: حكيم، وهنا: رسول.

هناك: عبادة الواقع، وهنا: عبادة الحقيقة.

هناك: عالم الغيب هو الجار اللصيق لعالم المادة، والآلهة يسكنون فوق قمة جبل الأوليمب وفوق جبل البرناس، وهنا: الغيب بعيد بمسافة الأبدية، والله في العرش الأعلى وملكوت الجلال والجبروت اللا متناهي والإحساس الديني والقدسية الغيبية والسرية المطلقة التي لا تنالها يد والمسيطرة على الوجود.

هناك: العلاقة بين الإنسان والآلهة هي العلاقة بين الإنسان والأبطال، وفي ألطف حالاتها هي العلاقة بين العشق والجمال، وهنا: في أكثر حالاتها عادية علاقة بين ما هو صغير إلى ما لا نهاية وما هو عظيم إلى مالا نهاية.

هناك: يترل الآلهة على الأرض بسرعة وبساطة وتتشكل في شكل الإنسان وصورته، وهنا يصعد الإنسان ببساطة وسرعة إلى السماء ويعتبر لاهوتياً وما وراء مادي ومخلوقاً متألهاً وما فوق إنسان.

هناك: يتعب الدين من نوع من المناقشة بين البشر والآلهة، وهنا: يفيض الدين بالرحمة والمحبة والغفران والعفو.

هناك: كان بروميثيوس المحب للإنسان يسرق النار الإلهية من السماء وفي غفلة من الآلهة يأتي بها إلى الأرض، وهنا كان الله نفسه يسلّمها جبريل ليودعها أحد الأفراد العاديين بل والأميين من البشر ليقدّمها هدية إلى قومه، ويحض البشرية على قبولها بتعيين الثواب والعقاب.. وهناك يقوم زيوس بعقاب بروميثيوس على إتيانه بهذه النار المقدّسة الإلهية

بشدّه إلى الأغلال والحكم عليه بالنفي والعذاب وصب الغضب عليه والعقاب، وهنا: يقوم أعداء الله وهم من نوع الإنسان ومن أصدقاء إبليس بتعذيب بروميثيوس عن طريق إلقائه في نار النمرود وقتله بالصلبان القيصرية وحبسه في جبال القفقاز وشعب أبي طالب والحكم عليه بالتعذيب والنفي والطرد من قبل القوى البشرية الجاهلية: القوّة والذهب ومذهب الليل والشتاء، أعداء النار الإلهية ومشعلي نار النمرود.[1]

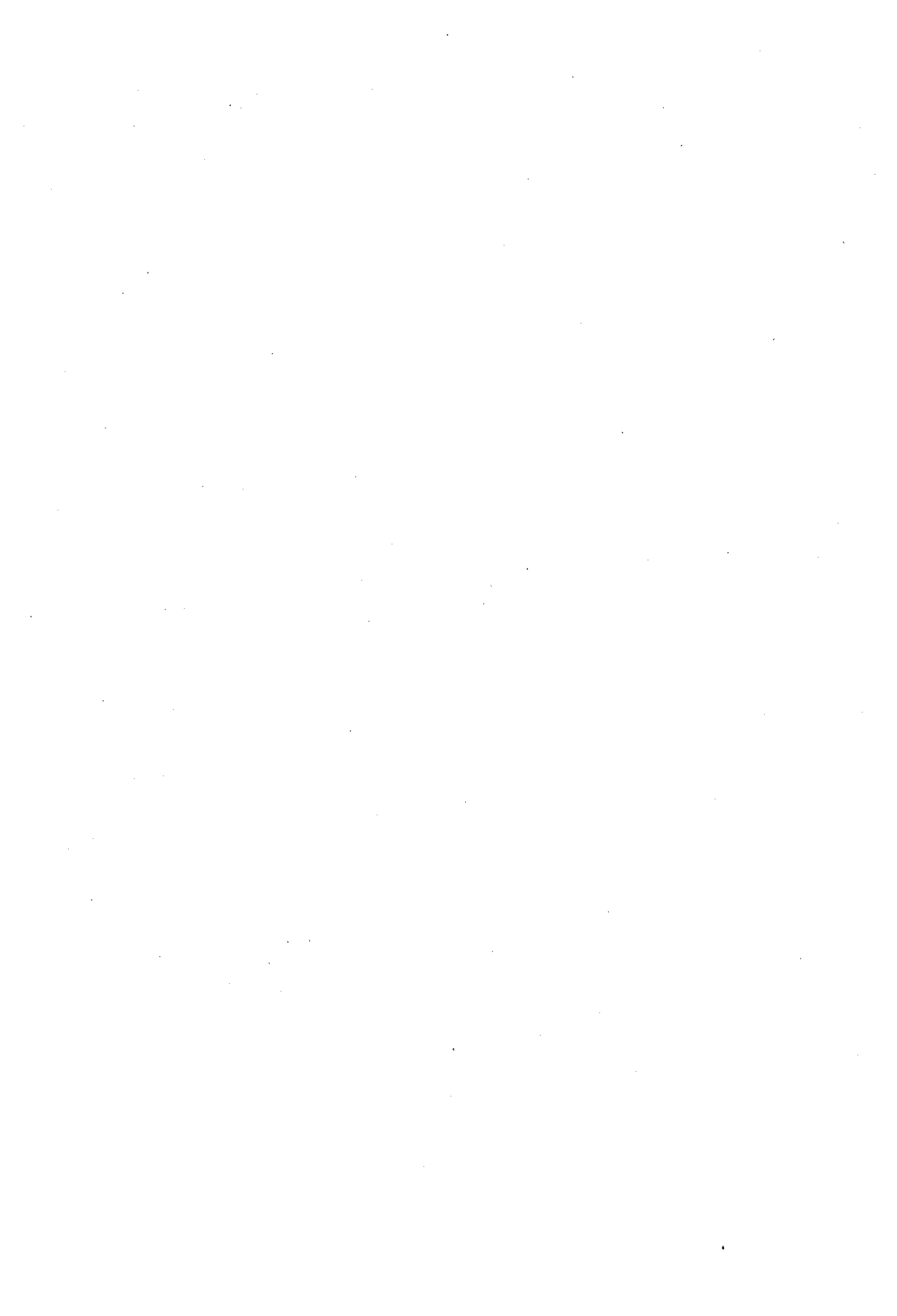
1- علي شريعتي،العودة إلى الذات، ص 86-81

((الأسير المعذب المنتسب إلى دين يسلي نفسه بالسعادة الأخروية، فيعدها بجنان ذات أفنان و نعيم مقيم أعده له الرحمن ،ويبعد عن فكره أن الدنيا عنوان الآخرة، وأنه ربما كان خاسر الصفقتين،بل ذلك هو الكائن غالباً. (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم غرسة فليغرسها))[1]

الفصل الرابع

ثقافة الاستعمار

1- عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد،ص105



❋ ماهية الاستحمار:

الاستحمار، تزييف ذهن الإنسان ونباهته وشعوره، وحرف مساره عن (النباهة الإنسانية) و(النباهة الاجتماعية)، فردًا كان أم جماعة. وأي دافع عمل على تحريف (هاتين النباهتين) لفرد أو لجيل أو لمجتمع عنهما، فهو دافع استحمار! وإن كان من أكثر الدوافع قدسية وأقدسها اسماً.

إنّ أيّ عمل ومهمة سوى هاتين النباهتين، أو ما يعد في طريقهما، ماهو إلا وقوع في العبودية، والذهاب ضحية لقوة العدو والاستحمار المطلق. وإن كان عملاً مقدسًا وموضوعه مهم جدًا.[1]

❋ الاستحمار المباشر و الاستحمار غير المباشر:

الاستحمار نوعان، استحمار مباشر واستحمار غير مباشر.

المباشر منه عبارة عن تحريك الأذهان إلى الجهل والغفلة، أو سوق الأذهان إلى الضلال والانحراف.

أما غير المباشر فهو عبارة عن إلهاء الأذهان بالحقوق الجزئية البسيطة اللافورية لتنشغل عن المطالبة أو التفكير بالحقوق الأساسية والحياتية الكبيرة الفورية.[2]

1-علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص101
2- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص125

❋ الاستحمار قديماً وحديثاً:

كان الاستحمار في الماضي تابع لنبوغ المستحمرين وتجاربهم، أما اليوم فقد أصبح معززاً (بالعلم)، (بالإذاعة والتلفزيون)، (بالتربية والتعليم)، وبجميع وسائل الإعلام، بالمعارض، بعلم النفس الحديث، بعلم الاجتماع،بعلم النفس التربوي! صارفنًا مجهزًا بالعلم، دقيق جدا. ومن هنا تصعب معرفته كصعوبة دقته.[1] .

يعمل الاستحمار القديم على إشغال الشعوب وإلهائها عن (النباهة الإنسانية) و(النباهة الاجتماعية) لإنشاء جيل مطابق لمقاييسه وحساباته. كأن تكون زنته أربعة مثاقيل، وطول باعه أربعة سنتمترات فقط، وطريقته المثلى، لحية من الأمام، وعباءة من الخلف، وكتاب أدعية، ومسجد، وصلاة، وصيام، وتعزية! هذا برنامجه اليومي والسلام.

هذا جيل، ينشئه الاستحمار القديم، جيل فارغ، مضطرب، لا يتحمل أيّ مسؤولية! أما الاستحمار الجديد، فمن أجل أن يسلب (النباهة الإنسانية) و(النباهة الاجتماعية) يتمثّل ويتلخص بـــ (عقلية) وسيارة (بيجو) ورزمة مناديل (كلينكس) وقدر من (المتاع) و(محفظة سفتجات) و(ديون) والسلام، لا فكر ولا تعب، ولا هم ولا نصب، ولا هم يحزنون. هذا هو لا أكثر!!.[2]

1- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص.ص99_100

2- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص147

❋ الدراية النفسية و الدراية الاجتماعية:

الوعي النفسي (النباهة) هي التي يمكن أن تشعر الإنسان بما فات منه.. تُشعر الإنسان _الذي بلغ إلى هذا الحد من الاقتداء والاستهلاك – بكل ما يقدم له. كما أن الوعي الاجتماعي هو الذي يمكن أن يشعره بما يجري على مصير مجتمعه في الخفاءانعم، إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينجي الإنسان من هذه البلاهة المتطورة الحديثة المغرية هاتان الدرايتان فقط.[1]

فالشعب أو المجتمع الذي يفقد نباهته الإنسانية أو الاجتماعية، فما (مهندسه) إلا مصلح للآليات الغربية، وهو خير وسيلة لاستيراد البضائع الغربية إلى بلاده. وما (فنيه) إلا دلاّل ظلم يمهد الطريق للاستعمار. وما (عالمه) إلا موظف أجير بالقوة والمال، يستمد فكره ونهجه في التحقيق من الأجنبي في داخل البلاد وخارجها. وهكذا نرى أدمغة العالم الثالث تنقسم قسمين : قسم منها يجلب إلى الخارج فيستهلك في تلك الأجهزة العظيمة باذلاً نبوغه وقابلياته للأجانب من أجل أن يملأ البطون، ولم يدر أي شيء خسر مقابل ألفي تومان يضاف على الراتب! وقسم يعود إلى البلاد ويشكل الدعامة الخامسة للبلاد للاستهلاك الأجنبي. فتكون مهمة الأديب والمحقق والفيلسوف منهم استتراف الأفكار، وتحجيرها، وتغيير الأذهان وتحريفها. ويقوم الفنيون والفيزيائيون والكيميائيون بمهمة تسمينهم![2] .

1- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص.ص95_96

2- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص96_97

الشيء الذي ينجي الإنسان والمجتمع والأمة من شؤم مصير الاستتراف الفكري، في طريقتيه القديمة والحديثة، هما: (النباهة الإنسانية) التي يتحدث عنها الدين الراقي... ذلك الدين الذي يتجاوز العلم، و(الدراية الاجتماعية) التي تتحدث عنها الرسالة العقائدية النبوية. وينبغي أن تكون هاتان الدرايتان مقياسًا لكل إنسان، سيما في العالم الثالث، فضلاً عن المجتمعات الإسلامية والشرقية، لأنهم متى نظروا للمسائل بغير هذا المقياس خسروا. لأن المزورين في هذا اليوم ليسوا ألعوبة الأمس النحسة، إن هؤلاء يصنعون في الأساس عينًا ونظرة. ولذا فإن الإفلات من مصائدهم، والخروج من مضائقهم وانكشاف مخططاتهم يستلزم لأجلها أن يبصر الإنسان، ويعلم في أي مؤامرة غريبة معقدة يوقعون بها جيلاً من الأجيال، وبعدها أي شيء يريدون أن يصنعوا! فإن غفلت عن هذا فستكون جمل أضحية تحت المدية في أيديهم، تنشط في ضغطهم عليك، وترقص لذبحهم إياك!. إن بلاهة وحماقة مدهشة للغاية كمثل هذه، تصيب الأجيال في جميع العالم، حتى في الغرب نفسه أيضًا. أما الناس في الغرب، فهم غير تلك الأيدي والضمائر التي تقرر المصير في الشرق. [1]

1- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص97_98

❋ الاستحمار يسلب الدرايتان النفسية والاجتماعية:

إن أي جيل انصرف عن التفكير في (الدراية الإنسانية) كعقيدة واتجاه فكري ومسير حياتي وتحرك دائم، لا كانشغال يومي يزاوله كل أحد ، وأي إنسان لا يفكّر في (الدراية الاجتماعية) بمفهوم (نحن)، وإنما يفكّر في شيء غير مصير المجتمع ومشاكله ومبهماته واحتياجاته، فإن هذا التفكير، حتى لو كان في شيء مقدس، فهو استحمار! وقد استحمر ذاك الجيل. ولذا فإن الاستحمار قد لا يدعوك إلى القبائح والانحرافات أحيانًا، بل بعكس هذا يدعوك إلى المحاسن، ليصرفك عن الحقيقة التي يشعر هو بخطرها، كيلا تفكر فيها فتنبهك (أنت) و(الناس).[1]

❋ تأسيس دين ضد الدين:

الدين الاستحماري، الدين المضلل، الدين الحاكم، شريك المال والقوة، الدين الذي يتولّاه طبقة من الرسميين الذين لديهم بطاقات للدين، لديهم إجازات للاكتساب وفيها علامات خاصة تنبئ عن احتفاظهم بالدين، وأنهم من الدعاة ولكنّهم من شركاء الاثنين المذكورين (المال والقوة)... كلامي يدور عن هذا الدين. لأيّ شيء يُسخر الناس كالحمير، أي يستحمرهم؟ وما الذي جعله أكبر وأقوى مستحمِر في المجتمعات القديمة؟ ماذا يفعل هذا الدين بالإنسان فيستحمره؟[2]

1- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص102
2- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص110

ليس باستطاعة الدين أن يسلب منّي (نباهتي الفردية) ولا مسؤوليتي بالنسبة إلى مصيري أو مجتمعي. إذًا ماذا يعمل حتى يصير مستحمِرًا؟ قد يكون عمله أمرًا واحدًا، هو نقل الإنسان بالنسبة إلى الظروف والزمان! أي يقول لك:

- دع الدنيا فإن عاقبتها الموت!

- ادخر كل هذه الحاجات والمشاعر والأمنيات إلى الآخرة، إلى ما بعد الموت ! ليس الفاصل الزمني بكثير، ثلاثون أو أربعون أو خمسون سنة لا قيمة لها! بعدها كل شيء تحت طوعك.... وتكون من أولئك الذين هم فيها خالدون!

- إنها سنوات العمر القصير لا قيمة لها، دع الدنيا لأهلها ! ويقصد (بأهلها) نفسه وشريكيه الآخرين.

يسلب ذاك الدين مسؤولياتي تجاه مجتمعي بطريقتين:

الأولى: يأخذ منّي إمكانياتي ومواهبي التي أمتلكها، ويحرمني منها، فيلزمني أن أستعيدها من أجل كوني (إنسانًا)، ومن أجل (درايتي الإنسانية). كما ينبغي عليّ أن أرفض الظلم من أجل الحاجة إلى العدالة. أما دين الاستحمار فيدعوني إلى التمكين من الظلم والفقر والسكون والصبر، ويكلني إلى (العباس عليه السلام) ويزيح عني كل مسؤولية!

الثانية: حين أرى نفسي مقصرًا، خائنًا مسيئًا إلى المجتمع ومصيره، أقع تحت ضغط مسؤولية ضميري، فتجرّني (الدراية الاجتماعية) إلى أن أرجع حقوق الناس إليهم، وأستسمحهم فيما فرطت في جانبهم. لكن الدين الاستحماري المنحرف يموّه عليّ ويقول لي:

صحيح أنّك خنت وبعت مصير الناس للآخرين؛ إلا أنك لا تستطيع أن ترجع حقوقهم إليهم وليس هذا صوابًا! هناك طريق أسهل.

ماهو ؟

أن تقرأ هذه الكلمات ست مرات وأنت متجه نحو القبلة! فلن يبقى عليك شيء، وستُغفر ذنوبك كلها لأنّك حينها ستنال الشفاعة، العفو، الرحمة! وإنّ رب (هذا الدين) سيصفح عن جميع السيئات، والقبائح، والمنكرات بسهولة، وسيمحي ذنوبك ولو كانت عدد رمال الوديان، ونجوم السماوات بنفخة واحدة!

ثم تتساءل إذاً لأي شيء أتحمل ثقل المسؤولية الاجتماعية؟ لماذا إذاً كانت مسؤوليتي نحو الناس وحياتهم الاجتماعية تلزمني أن أموت من أجلهم، وأضحي بنفسي في سبيلهم؟ فهناك طريق أسهل !هو (كتاب الأدعية) فإنه يفتح لي أبواب الجنان من غير تعب ولا نصب، ولا مشقة، ولا تشويش، وبدون (شعور)! أو فكر ، وبدون أي مسؤولية!يكفي أن تدخل السرور في قلب أحد، أو تقضي حاجة أحد، فإنه سيمحي كل ذنوبك، ويبدل سيئاتك حسنات، ويقضي عنك كل المسؤوليات الاجتماعية! هذا هو الدين المستحمر.

ومن ثم نرى الدين المستحمِر يكَل استيفاء حقي، وأخذه ممن ظلمني إلى ما بعد الموت. هذا بالنسبة لي وأنا مظلوم، أما عندما أكون ظالمًا، فإنه يعلمني أن لا أسترضي المظلوم على ما فرطت في جانبه، بل ينبغي

عليّ أن أطلب (رضا ولاة الله والدين)!فيصدّق لي أولئك الولاة بالنيابة عن جميع المظلومين، وحتى عن الله، على جواز دخولي الجنة...!

ومن هنا فإن دين الانحراف يدعو الطرفين (الظالم) و(المظلوم) إلى الاستحمار. ويبدّل كل القضايا إلى مسائل ذهنية، ويتكفل رفع كل المسؤوليات الاجتماعية بسهولة وبمكر خاص! لا يعرفه سوى ولاة الله الرسميون والوسائط الرسمية المدربة على كاهل صالح وغير صالح![1]

❋ العوامل التي تحفز الاستحمار:

أي قضية فردية أو اجتماعية، أدبية كانت أم أخلاقية أم فلسفية، دينية أو غير دينية تعرض علينا، وهي بعيدة عن ((النباهة الإنسانية)) و((النباهة الاجتماعية))، ومنحرفة عنهما، هي استحمار، قديم أو جديد مهما كانت مقدسة. (علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص149)

*إن أي مسألة وقضية عرضتها عليكم ، فلسفية كانت أم علمية ،أم فنية، وإن كانت قضية تقدم المجتمع والحياة، فإنها إذا كانت منحرفة عن (النباهة الإنسانية) و(النباهة الاجتماعية) فهي دعوة كاذبة غاشمة مزورة، عاقبتها الذل والعبودية والغفلة.[2]

- كل شيء يشغلني أنا كإنسان، ويشغلنا نحن كمجتمع عن (الدراية الإنسانية) و(الدراية الاجتماعية) فهو أداة استحمار.[3]

- يمكن أن تكون الحضارة والتقدم دافعًا للاستحمار.[4]

1- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص.ص110_114
2- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص100
3- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص128
4- علي شريعتي، النباهة والاستحمار، ص139

((إن غاية التغيير الثقافي لا يمكن أن تكون إقصاء العلم أو إقصاء التراث، وإنما تحرير العقل، أي إطلاق يديه من كل قيد، وتوسع دائرة النقاش والحوار العقلي.وأي سياسة ثقافية تقوم على فرض إيديولوجية على العقل،حداثية كانت أو تراثية،تقتل الحوار، وتفضي بالضرورة إلى إلغاء الوعي، وإلغاء الثقافة كنبع للإبداعات والتجديدات الذاتية، وتغلق بالتالي أفق أي تغيير))[1]

الفصل الخامس

الحضارة و قوانين النهوض

1- برهان غليون،اغتيال العقل،ص305



❋ فقه التحضر

نقطة البداية:

أسئلة لا مفر من الإجابة عنها:

قبل أن نبدأ عملاً ما بداية صحيحة علينا أن نحدّد في البداية: في أي مكان نحن من الأرض وفي أي عصر من الزمان؟ وقبل أن نعلم في أية مرحلة من مسيرة التاريخ، وفي أي منعطف من عصور التطورات الاجتماعية، يكون إتباع أيديولوجية ما تقدمية أو منحطة، صحيحة أو مخطئة، دينية أو مادية، تعصباً لا محل له بالمعنى الحقيقي للتعبير، ونتيجة لذلك فإن سلوك أي طريق ضلال، وترك للعمل السياسي والاجتماعي، ووضع لمصير المجتمع والمترل الأول للإصلاح والثورة تحت رحمة المصادفة والاحتمال، هو كتابة وصفة لمعالجة مريض لا نعرف عمره ولا مدة مرضه ولا نوعه بل ولا نعرف المريض نفسه على أي وجه، بل علاج كُتب تقليداً لطبيب حاذق مجرب عالج في مكان آخر مريضاً آخر وكان علاجاً ناجعاً.[1]

تحديد الهدف الحقيقي من الرقي الاجتماعي :

طريق فلاح هذا الشعب ونجاته، ليس في البدء بإقامته التكايا أو إنشاد الروضة أو التعزية أو إقامة التمثيليات التي تصور مصائب آل

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص 75

البيت كما يقول «أشباه المتدينين السلفيين»، ولا بمتابعة الألاعيب الأوروبية والمظاهر التي يقوم بها «أشباه المتحضرين العصريين»، وكانوا على وعي بأنه ينبغي أن يجتثّ الفساد من جذوره، وأنّه ينبغي أن يسلك طريق واقعي للنجاة والتحرّر، وأنه ينبغي تحديد الهدف الحقيقي من الرقي الاجتماعي. حسناً: ماذا كان الهدف من هجومهم؟ الاستعمار الأجنبي والاستبداد السياسي والاستغلال الداخلي؟.[1]

❋ مقومات الحضارة:

الحضارة هي درجة التكامل في القدرة على التفكير واتساع الرؤية وعمق الروح ولطفها، والنضج الاجتماعي، وخلق الوعي الإنساني والإحساس بالمسؤولية، ومعدل الثروة الثقافية والقفزات الفكرية والعقائدية، واستقلال الشخصية واستعداد الخلق والقدرة على الاستغناء والنقد والاختيار، وإيجاد ضمير تاريخي واجتماعي، والوعي والالتزام بالمستقبل، وتحديد حقّ المرء في الاشتراك ونصيب اشتراكه في الصنع وتغيير المصير حسبما يجب وفي كلمة واحدة: الثورة الأيديولوجية... كانوا يعلمون أنه لا يمكن الحصول على هذه الأشياء كلها بمساعدة مصممي كريستيان ديور وهجوم بضائع مانشستر وبناء الذات عن طريق كتالوج «البردة»، إنها تريد تعباً وعملاً وصبراً وشجاعة روحية واستقامة أخلاقية وإخلاصاً وتضحية وتحملاً للحرمان ومواجهة

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص64

للخطر وكسباً للجدارة والوعي وصموداً وتقوى وعلماً وذكاء كثيراً وطمعاً قليلاً ووعياً ذاتياً، وإنكاراً للذات وتوقعاً للخطر من الأعداء وضرر الكائدين وحسد الأصدقاء[1] ، وتعرضاً للحيل والأحقاد وضيق الأفق، والعقد المرضية الدنسة، وكل ما يلزم لإيجاد الحركة والدعوة إلى اليقظة والتحرر في مجتمع مريض متأخّر قام الاستعمار من الخارج بـ«استغفاله»، وقام الاستعمار من الداخل بالشيء نفسه.[2]

❋ الحضارة صنعة وثقافة :

الحضارة هي من قبيل العمل الذي قام به موسى. صنع مثل هذا التاريخ من بضعة من الأسارى الأذلاء الذين تعوّدوا على الرقّ والذلّة وحبّ المال والجري وراء المصالح الفردية والاحتيال الحقير، هو العمل الذي قام به محمد صلى الله عليه وسلم، جعل من عدد من البدو المتفرقين في صحراء الجهل والفقر ومذابح الحقد البدائية إلى محطّمين لأعتى القوى الاستعمارية في شرق العالم وغربه، وواهبي النضج لكل حضارات الإنسان وثقافاته. كانوا يعلمون أنّ العصرية والرقي يمكن استيرادهما كسلعة من الخارج، لكن الحضارة ليست سلعة تُستورد يمكن استيرادها إلى بلد ما. الحضارة مزرعة ينبغي أن تبذر بذورها في المدينة ثم تظهر وتنمو، لا كما حدث في شرق شبه الجزيرة عند عرب البحيرة

1- ﴿ من شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إلى حسد﴾.
2- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص62

وفي شمالها عند العرب الغساسنة، وفي جنوبها عند القبائل اليمنية، أولئك الذين باختلاطهم وانتقالهم وتقليداً لعادات إيران الساسانية وتقاليدهم، أو الروم الشرقية المتحضرة المتقدّمة قبل الإسلام، ونتيجة لاستعمار اليمن على يد الساسانيين، كانوا يعتبرون أنفسهم أكثر امتيازاً من بقية العرب، وكان شيوخ القبائل يظنّون أنهم ارتقوا من البدوية إلى رقى الساسانيين والبيزنطيين وحضارتهم عن طريق إقامة صور كاريكاتورية ممسوخة ولا محل أو معنى لها من رسوخ بلاط قيصر وكسرى ومراسيمها، أو بإقامة القصور العظيمة الأسطورية مثل الخورنق والسدير في دول فقيرة تقليداً لبلاط كسرى في المدائن أو المظاهر البدائية المقززة.[1]

❋ الحضارة ثورة في الإنسان قبل أن تتجسد على أرض الواقع:

«عجبت لمن لم يجد قوتاً في بيته ،كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟» الحضارة ثورة تدريجية في الإنسان، لا هي سلعة ولا مجموعة من السلع المستوردة، ليست شكلاً خاصاً أو لوناً خاصاً، إنها جوهر وحقيقة متسامية. وأولئك الذين يريدون إقامة حضارة في دولهم عن طريق استيراد مواد الحضارة الأوروبية مثل الكهرباء والإسفلت والسيارة والمأكل والعمارة، لا شك أنهم سوف يصلون في ظرف عدة سنوات إلى نجاح ملفت للنظر، لكنه ملفت «للنظر« فحسب، لقد فعلوا تماماً

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص.ص62_63

ما فعله نواطير مهرة لكنهم حمقى، إذ يشترون أشجاراً خضراء مثمرة «من الخارج» ويغرسونها «كما هي» في أراضيهم البور التي لا استعداد فيها، وكلهم نظراً لهذه القفزة الخارقة للعادة والمعجزة للتقدم والنجاح في دهشة، ولسان حالهم يقول: انظروا إلى تلك الأرض التي كانت بوراً كيف صارت خلال عدة أيام حديقة نضرة بل ومثمرة، إنها أكثر جمالاً من حدائق أوروبا، لا نظير لها في الشرق الذأوسط وبعد أربعة أيام تجف الشجرة التي لا جذور لها ولا ماء ولا تربة. لا يهم، هناك مندوب يشتري أشجاراً أخرى، نشتري ونغرس، ويكون عندنا على الدوام أشجار جديدة ومثمرة، أجل، لكن ينبغي أن نشتري الأشجار منهم دائماً.[1]

❋ الحضارة والعصرية:

الوعي بمفارقة المدلول:

لعبة العصرية والرقي غير صناعة الحضارة، والتحضر يعني موت الاستعمار في كلّ صوره العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، أما العصرية فتعني لحماً جديداً لذئب الرأسمالية الأوروبية.[2]

الحضارة والعصرية أيهما علة للأخرى:

لقد ظن البعض أن الفلسفة والثقافة والعلوم التقنية والآداب والفنون هي التي تصنع الحضارة. وهؤلاء في غفلة ذهنية عجيبة. لقد وضعوا المعلول

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص145
2- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص63

مكان العلّة، فكلّ هذه الأمور هي النتيجة الحتمية للحضارة الحقيقيّة ومواد هذا البناء الإنساني العظيم. والمعماريون الحقيقيّون في التاريخ هم قادة الحركات، لم يكونوا علماء فلسفة أو علماء أو خبراء في الفنون أو أدباء بل كانوا أميين، وربما لأنهم كانوا أميين، ومثل هذا التفسير للحضارة وتعريفها من الظاهرة السطحية والمزيفة في الغالب والمنحرفة المسمّاة بالعصرية، يعتبر قضيّة علمية جديدة يختص بها علم الاجتماع وعلم الحضارة، ليس هذا فحسب، لكنّها تؤدّي إلى بروز رسالة علميّة واجتماعية خطرة جداً في إحساس المفكّرين الحقيقيين في المجتمعات غير الأوروبية والتي هي في سبيلها إلى الأخذ بالحضارة الأوروبية. قلت: مفكّري المجتمعات غير الأوروبية. لكن وأسفاه. إنّ الأمر كما ذكرت آنفاً: «إنّ وجود هؤلاء المتشبهين الاستهلاكيين أي العوام العصريين مأساة، لكنها أكثر مدعاة للضحك منها للألم، لكن جعل الخواص متشبّهين أي جعل صفوتنا المثقّفة المتعلّقة متشبّهين مأساة أكثر مدعاة للألم منها إلى الضحك، فالنوع الأول يعد ميتة المجتمع، أمّا النوع الثاني فهم مخه، ودفع المخ إلى الاغتراب يؤدي إلى الموت والمسخ. [1]

«إنّ لعبة العصرية عند العوام هي أيضاً من سيّئات المتفكّرين المتشبّهين». [2]

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص147

2- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص147

❋ الأيدلوجية الفعالة الخلاقة:

إن ما يجعل الأرض في رأيي صالحة للإنبات هو: الأيديولوجية. رؤية كونية متحرّكة وأهداف مشتركة أو ما يعبّر عنه بكلمة واحدة بالإيمان، وهو ما يوجد حركة وقدر ووسائل ووحدة في المجتمع، فثقافة الهند الروحية العميقة والمسيحية والحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية الحديثة، كلّ واحدة منها كانت وليدة حركة فكريّة وقوميّة ودينية. لماذا ينضج النبوغ الفلسفي والعلمي والفني في إيران بعد الإسلام وفي خلال قرنين أو ثلاثة بالرغم من أنها مرحلة هزيمة سياسية وعسكرية وقومية، وتدون دوائر معارف من لدن شخصيات إيرانية عظيمة في كل فروع الفكر والإحساس والآداب والفنون والصناعات البشرية، ويسيطر الفكر الإيراني في الثقافة والعلوم الإسلامية على كلّ الأمم المتحضّرة في عالم ذلك العصر من إسبانيا حتى الصين وحتى أوروبا العصور الوسطى وعصر النهضة... ولم يحدث ذلك في إيران الساسانية أو الأشكانية؟.[1]

❋ الحضارة الحقيقية و الحضارة المزيفة:

من هما طرفا القتال والجدال في هذا العصر؟

مجموعة من القدرات العلمية والصناعية تقاتل جماعة تفقد الصنعة والعلم، وإن مصير هذا القتال، بعد اختلاف عدة أشهر وسنين، سيكون

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص146

لصالح أولئك الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، وستخسر تلك القدرات التي حازت الذخائر العلمية والفنية مدى الدهر، وطيلة تاريخ البشر. أي شيء يقتتل مع أي شيء؟ العلم يقتتل مع (الفكر).. هذا الحافي الجائع، الذي قدر له أن يبقى فقيرًا، عريانًا، مريضًا، لكنه في الوقت نفسه تسلح بسلاح واحد هو (الفكر)و(الإيمان)و(العقيدة) له هدف واحد جعله يقاتل ذاك الإنسان الذي جمع المقدرات العلمية والصناعية والفلسفية فيتغلب عليه رغم كونه أمياً. إذاً هناك شيء آخر، غير الثروة والقدرة والعلم والفلسفة والتكنولوجية..الشيء الذي لو صرفنا النظر عن (وجوده)و(عدمه)، لهزمنا أمام حفاة الدهر وإن كانوا عبيدًا مظلومين، لأننا نباد وننهار من الباطن، حتى لو بلغنا ذروة التكامل في تلك القدرات المادية حيث بلغ الغرب المتمول هذا اليوم.

ومن هنا تقف المجتمعات التي تريد أن (تختار)أمام طريقين:

أن تختار طريق العلم والرأسمالية والقدرة والصنعة.

أن تختار طريقة فكرية وعقيدة تنشدها.

من المسلّم به أنّ المجتمع الذي يرتبط بهدف عال وعقيدة وإيمان، فإنه يتفوق على كل قدرة، حتى على القوة التي تسيطر على ((المنظومة الشمسية)). وأن مجتمعاً كمثل هذا، ستكون له حضارة أيضًا بعد عشر سنين أو خمس عشرة سنة، كما تكون له صنعة، وينتج على مستوى عالمي أيضاً. ونماذج كثيرة في الزمان الماضي وفي وقتنا الحاضر كان لها

ذلك. أما إذا كان المجتمع فاقداً لنموذج يهدف إليه، فاقداً للإيمان والرعاية الشخصية والاجتماعية، وليس همه سوى الصنعة والاقتدار والرأسمالية، وما يسمى اليوم بالتقدم العلمي والصناعي(فإن وُفق لنيل ما يروم ولن يُوفق) فإنه سيبقى مستهلكًا وإن ظن أنه منتجًا. وهذه هي الخديعة الكبرى التي وقعت فيها جميع البلاد المتأخرة، وخسرت ذلك الشيء الذي يهب الرقيق العجوز المحروم قدرة تزلزل أكبر قدره عالمية. وهكذا إذا كنا أصحاب عقيدة، فإنه متى ما وفقنا أن نجتاز مرحلة الإيمان بنجاح فإننا سنكون صانعي أكبر حضارة. أما إذا لم نشعر بنقص فكرنا، أو لم تنكشف لنا قضية الإيمان والعقيدة، ولم تتضح طريقنا فنتعلمه، ولم نشعر بحاجتنا إليه، فإننا سنبقى محتاجين أرقاء للمنتجين ، نعتمد على الحضارة الغربية، ونستهلك من إنتاجهم.

من هنا فإن المثقف هذا اليوم في البلاد المتأخرة، أينما كان، في أميركا اللاتينية، أو في آسيا القصوى، أو في الشرق لأدنى، لا فرق في ذلك، بل كما يقول (فانون):((إن المجتمعات المتأخرة لها مصير متشابه، وحاجة واحدة، وانتخاب واحد، لأنها تواجه قدرة متشابهة في زمان واحد ومشترك)). إما أن يُختار(الفكر)أولاً، أو الحضارة من غير (الفكر)، وأعني (بالحضارة) الشيء الذي يخرجه المتحضرون لنا.وقد كشفت لنا التجارب طيلة الثلاثين أو العشرين سنة الأخيرة، وحتى في الأربعين أو الخمسين سنة الماضية، أن المجتمعات التي بدأت من نقطة

عقائدية، وتحركت بعد تحقق وعيها الفردي والاجتماعي، قد وقفت اليوم في صف القدرات التي تصنع الحضارة العالمية. لكن المجتمعات التي اقتدت بالحضارة الغربية بدون وعي اجتماعي، أو شعور إنساني بالوعي الفردي، وبدون عقيدة بل بمجرد نهضة كاذبة، قد ظلت مسخرة للحضارة الغربية، مستهلكة على الدوام، خاضعة للذل والعبودية تحت سيطرة الغرب.[1]

❋ عوامل النهوض والتغيير:

القوانين الاجتماعية الثابتة:

استكشاف سنن التغيير:

نحن نؤمن بوجود النوابغ والأبطال في التاريخ، وإنما ننكر خلقهم للأشياء وإيجادها من الصفر، وها هنا يكمن معنى الآية (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) والمعنى أنّ هذه السنة باقية على حالها في الماضي والحاضر والمستقبل أيضاً . الإرادة أو (المشيئة الإلهية)، معناها القوانين التي أودعها الله في مخلوقاته الشاملة لكل عالم الوجود ، وهذه القوانين لا يطرأ عليها تبدل ولا تغيير...[2]

1- علي شريعتي، النباهة والاستحمار ،ص.ص66_69

2- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص99_100

الإسلام لايؤمن بالحادثة التي تقع محض الصدفة، قلت أن هناك مذاهب فكرية وعقدية تؤمن بمبدأ الصدفة، قلت أن هناك مذاهب تؤمن بالمشيئة الإلهية، كما أن هناك من يؤمن بالنبوغ والإبداع ومعاجز الإلهية، كما أن هناك من يؤمن بالنبوغ والإبداع ومعاجز الأبطال، غير إن الإسلام يرفض هذة القوانين، فروح المجتمعات خاضعة لمنظومة قوانين طبيعية مسلمة وأن الله نفخ هذه القوانين في روح المجتمعات و لم يشأ أن تتبدل أو تتغير؛ لا بتدخل منه ولا بفعل الصدفة ولا بواسطة الرجال. توجد في صميم كل مجتمع نواميس وسنن وقوانين لابد من كشفها أولا، ولابد ثانيا من تنظيم واقع حياتنا على ضوئها لكي نتعاطى معها على أكمل وجه .[1]

التاريخ لا يُصنع صدفة ولا عبثًا :

التاريخ والمجتمع البشري لا يستندان على أساس المصادفة والعبث، بل على واقعيات مثل كل واقعيات هذا العالم ذات حياة وحركة طبقاً لأصول علمية (وبالمصطلح القرآني: سنن تغير قابلة للتبديل والتحويل)[2] وبقدر ما يكتشف الإنسان هذه الأصول عن طريق العلم وعن طريق التكنيك (الأيديولوجية والتخطيط الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي)، وعن طريق اختيار قانون بدلاً من قانون آخر، أي: استخدام القوانين العلمية كما يهوى في قلب هذين الواقعين، يستطيع

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص93

2- المترجم:﴿ لن تجد لسنة الله تبديلاً﴾. الأحزاب (62)﴿ لن تجد لسنة الله تحويلاً﴾. فاطر (43).

أن يغير مسيرها الطبيعي كما يريد، وعن طريق التنبؤ العلمي الصحيح يستطيع أن يواجه المصير الطبيعي لتاريخه في المستقبل ويوجهه إلى المسيرة التي يحددها، وكما يقوم بتغيير شجرة فاكهة برية تنمو طبقاً لسنتها الطبيعية وجبرها الذاتي وتثمر، وذلك عن طريق معرفتها والتدخل في مسيرها، يقوم بتربيتها ويأخذ منها الفاكهة التي يريدها شكلاً ولوناً، هو قادر أيضاً على فرض الشكل الخاص الذي يؤمن به من أجل مجتمعه الوحشي المتأخر في أية مرحلة تاريخية يكون فيها، لأن تطور المجتمع وحركة التاريخ نتيجة للعبة «اختيار» الإنسان وجبر التاريخ.[1]

مكر التاريخ:

إنّ لكلّ مجتمع وحضارة عمرًا محددًا، كأيّ موجود حيّ، المجتمع عبارة عن كائن حيّ، يمر بمرحلة طفولة وفتوّة ونضج وكمال وشيخوخة وموت، وهذا أمر قطعي مسلّم ، بعدها يسلم هذا المجتمع رسالة الحياة إلى مجتمع آخر أكثر جدارة، ويفنى هو ويزول. هذا أحد القوانين الاجتماعية التي لايمكن أن تتبدّل، لا يمكن لأيّ بطل أو نابغة أن يغير هذه السنة ويحول دون موت مجتمع معين أو يخلق مجتمعًا أبديًا سرمديًا لا يطرأ عليه الفناء. الحضارات تحمل – وهي في مرحلة الازدهار– بذور موتها، إلى أن تضمحل عناصر قوّتها وحيويتها وتتغلّب عليها عوامل الموت والفناء من ثمّ تموت تلك الحضارة وتهب حياتها لمجتمع

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص103

آخر جديد يحمل الموروث الحضاري الإنساني، وهكذا تتواصل حلقات التاريخ وتستمرّ حياة المجتمعات، وذلك لعمري قانون وسنة وناموس طبيعي لابدّ من كشفه والتعاطي معه على أساس كونه حقيقة لا تقبل التبدل والتغير، ولا يسع أيّ مجتمع كان، الهروب من قبضته، مثلما هو الأمر كذلك بالنسبة لقانون الموت والحياة في سائر الكائنات الحية.[1]

المعاني الكامنة وراء عدم تبدل سنن التغيير:

الإنسان بمعنى البدن والروح، وبمعنى المجتمع والتاريخ يخضع لسلسلة قوانين محددة تأبى التبدل والتغير .

ولعدم التبدل هنا معان عميقة :

1-عدم التبدل بإزاء الصدفة ؛

2-عدم التبدل إزاء إرادة الأبطال ؛

3-عدم التبدل إزاء (المشيئة) ـ بمعناها الكاثوليكي ـ أي: إن الإنسان والمجتمع شأنهما شأن أي شيء آخر في عالم الطبيعة ؛ يخضعان لجملة من النواميس الطبيعية كما هو الحال مع المنظومة الشمسية التي تخضع في حركتها وتكاملها لقانون الجاذبية وغيره من قوانين الهيئة والمادة ..

وفي ضوء ذلك، لن يكون بوسع المعجزة أو الصدفة أو النبوغ الطارئ؛ أن يغير مجرى التاريخ أو يحدث انعطافة حادة في مسار المجتمع، لأن التاريخ والمجتمع يجريان على ضوء سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص91

، وليس بميسورنا سوى أن نكشف هذه السنن والقوانين. الخطاب في الإسلام موجه دائما إلى (الناس) ومن ذلك يعلم أنه يعتبر (الناس) أساس المجتمع ومبدأ وجوده ، وعلى خلاف معظم المؤرخين، مثل كارلايل وأمرسونٍ ممن يؤمنون بأن التاريخ يصنعه الرجال والشخصيات الكبيرة من نوابغ وأبطال ، نجد أن الإسلام غالباً ما يدين الرموز التاريخية ويعبر عنها عادة بالملأ، وقلما يذكر هؤلاء بخير، تمعّنوا في هذه الآية﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴾[الأحزاب/67] إنها تحثّ على نبذ عبادة الشخصية وتقديس الرموز والأبطال، داعية إلى التركيز على السنن الداخلية للمجتمع ومحاولة كشفها.[1]

العودة إلى الذات:

الذات الحية الفعّالة:

العودة إلى الذات التاريخية التي ندعو إليها، لا تعني العودة إلى عراقة الحمار، بل هي العودة إلى الذات الموجودة بالفعل والموجودة في قلب المجتمع وفي وجدانه، تصير مثل مادة ومنبع من منابع الطاقة، تُفتت على يد مفكر وتُستخرج وتحيا وتتحرك، هي تلك الذات الحية. ليست تلك الذات العتيقة القائمة على عظام نخرة، هي تلك الذات القائمة على أساس الإحساس العميق بالقيم الروحية والإنسانية عندنا، والقائمة على أرواحنا واستعداداتنا، والموجودة في نظرتنا إلى الأمور، لكن الذي

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص87_88

صرفنا عنها هو الجهل والانقطاع عن النفس، وجعلها الجذب إلى ذوات أخرى مجهولة، لكنها على كل حال ما تزال حية ذات حياة وحركة، وليست كلاسيكية ميتة تتبع علم الآثار.[1]

المفكر الواعي ومسؤوليته عن قدح شرارة الذات:

إنّ منطلقنا هو الذات الإسلامية نفسها، وينبغي أن نجعل شعارنا هو العودة إلى هذه الذات نفسها، لأنها الذات الوحيدة القريبة منا من بين كلّ الذوات، وهي الثقافة الوحيدة التي ما تزال حية حتى الآن، وهي الروح والإيمان والحياة الوحيدة في المجتمع الآن، ذلك المجتمع الذي ينبغي للمفكّر أن يعمل من خلاله ويعيش وينبض. لكن ينبغي أن يطرح الإسلام بعيداً عن صورته المكرّرة وتقاليده اللاواعية العفوية وهي أكبر عوامل الانحطاط، بل ينبغي أن يطرح في صورة إسلام باعث للوعي تقدمي ومعترض، وكأيديولوجية باعثة للوعي وقائمة بالتنوير، حتى يبدأ من هنا هذا الوعي، وهو مسؤولية المفكّر دينيّاً كان أو علمانياً، وذلك من أجل العودة إلى الذات، والبدء من الذات، بحيث ترسخ على أكثر الأسس عمقاً في واقعنا الروحي وشخصيّتنا الحقيقية الإنسانية، لأنه حيّ وموجود في قلب المجتمع، ويتغذّى من هذا الكنز ويقف على قدميه، وفي الوقت نفسه وعن طريق تغيير ما، يتحول الإسلام من صورة تقليد اجتماعي إلى صورة أيديولوجية، ومن صورة مجموعة من

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص50

المعارف العلمية تُدرس إلى إيمان واع، ومن صورة مجموعة من الشعائر والطقوس والأعمال التي تؤدي لنيل ثواب الآخرة إلى أعظم قوّة تهب الإنسان قبل الموت المسؤولية والحركة والميل إلى التضحية، ويتحوّل إلى استخراج مادة عظيمة تستخرج الوعي والعشق من صميم هذا المجتمع، ويقوم المفكّر بمعجزة «برومثيوس» في جيله، ويبدي المعجزة المتولّدة من الوعي والإيمان عن طريق هذه الطاقة، فيتبدّل الجمود فجأة إلى حركة والجهل إلى وعي، وهذا الانحطاط الذي دام بضعة قرون إلى بعث وحركة ونهضة يؤدّي إلى ما يشبه القيامة، وبهذا الشكل يعود المفكّر سواء كان دينياً أو علمانيّاً إلى ذاته الواعية الإنسانية القويّة، ويقف في مواجهة الاستعمار الغربي، وبقوة الدين يوقظ مجتمعه، ويحركه فيقف على قدمه إنساناً منتجاً، في صورة جيل يواصل حضارته وثقافته وشخصيته المعنوية، ويجلي بني جنسه جميعاً واحداً واحداً في صورة «برومثيوس» يأتون بالنار الإلهية إلى الأرض.[1]

اللاشعور الجمعي:

الفرد على حد تعبير شاندل: «لم يتكون في فترة عمره فحسب بل في فترة تاريخه» والعمر الحقيقي لكل إنسان هو تاريخه وليس عمره الحقيقي أي سنوات حياته، والعمر المكتوب في بطاقة الهوية لفرد ما هو المدة التي يصنعه التاريخ فيها، الفترة التي يودعه فيها التاريخ تراثه ومواده

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص52

وخصائصه... ومن هنا فالشخصية الإنسانية لكل فرد هي مجموعة الخصائص التي استمدها من تاريخه، فليس الإنسان شجرة بدأت منذ يوم أن ولدت، بل هو شجرة مدت جذورها في أعماق تاريخها، تتغذّى منه دائماً وحتى لحظة الموت.[1]

الإحساس بالماضي ومعرفة الذات في المشرق:

إن الإحساس بالماضي ومعرفة الذات في المشرق هو أحد وجوه التميز في الرؤية والروح الثقافية والفنية عند الشرقي[2].

هذا الفرار من الجديد والفرار من الأجنبي و الانكماش داخل النفس،و الخوف من الظهور ومن أن يكون معروفاً، والإعراض واللجوء إلى أكثر زواياه خفاء: إلى المترل أو إلى داخل نفسه أو إلى التقاليد القديمة، رد فعل منطقي وطبيعي وإيجابي لمجتمع أحس ويُحس دائماً أنّه مجال لهجوم الأعداء والخطر والإغارة و الجريمة والدليل على أن الجسد حي أنه عندما يتعرض لأذى ينكمش على نفسه، هذا وهو نوع من ردود الأفعال في مواجهة الخطر، والدفاع والهروب من الخطر أمر إيجابي بنفس قدر الهجوم على العدو ومطاردته، هذا السلوك الاجتماعي المتناقض الذي يبدو في عيون أنصاف المفكرين العصريين تماماً علامة على الرجعية والجهل والأمية وعبادة الخرافة، هو في المفكر الكامل نصف العصري دليل على حياة القوام الاجتماعي ووجود القوة وإمكانية المقاومة ورد

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص115)
2- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص127

الفعل في مواجهة الهجوم والخطر، وفي النهاية هو ضمان للاستقلال المعنوي، والثقافة والشخصية التاريخية.[1]

✵ كيمياء المجتمع:

إن معرفة أي مجتمع تعني معرفة «الإنسان الأعلى» أو بتعبير أدق «ما فوق الإنسان» وما فوق الإنسان هذا، يعني المجتمع. وأليس من الأدق من الناحية العلمية أن نستخدم بدلاً من كلمة المجتمع، وأكثر ما تبادره إلى الذهن مفهوم تجمع الأفراد؟ أليس من الأدق أن نستخدم بدلاً منها كلمة «الجماعة»؟ خاصة وأن هذه الكلمة تستخدم بدلاً من كلمة المجتمع في ثقافتنا الإسلامية، مثل: يد الله مع الجماعة، الشاذ من الجماعة للشيطان كما أن الشاذ من القاصية للذئب. (أحاديث نبوية).

ولا شك أن العوامل التي صنعت شخصية الجماعة ليس إلا الطبيعة والعرق والاقتصاد والشكل الطبقي والجماعي والنظام السياسي والدين واللغة والفن وأصول الإنتاج والتاريخ فيها، «وفي الوقت نفسه كل عامل من هذه العوامل لا وجود له في حد ذاته منفصلاً ومجرداً عن بقية العوامل.. »،فالذي يكوّن أسرة ويصنعها مثلاً هو تاريخها وهو أيضاً دينها وهو اقتصادها وهو بيئتها الجغرافية وهلم جراً»، لكن الشخصية على كل حال ليست واحداً من هذه العوالم، وهل حامض السولفريك شيئاً إلا الكبريت والأكسجين والهيدروجين وفي الوقت نفسه لا هو

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص134

بالكبريت ولا الهيدروجين ولا الأكسيجين ولا حتى خليطاً من هذه العناصر الثلاثة؟ [1].

❋ الإنتاج الفكري ركيزة أساسية لمجتمع منتج:

يقول سارتر:((إنّ الوجود المجازي من صنع الطبيعة أو الله وإننا بأنفسنا نصنع الوجود الحقيقي، الوجود الحقيقي هو ماهيتي وهويّتي الإنسانية وشخصيّتي الثقافية، وكل من يملك شخصيته الثقافية الخاصة هو إنسان مستقل ومنتج، والإنسان المنتج هو الذي يصنع الفكر والأيديولوجية والإيمان والحركة كما يصنع العربة))، وهذا هو ما أقوله: ما لم تصل الأمة إلى مستوى الإنتاج المعنوي والفكري والثقافي، فإنها لن تستطيع أن تصل إلى مستوى الإنتاج الاقتصادي، وإذا وصلت إليه ففي مستوى ما يفرضه الغرب، وفي صورة خادعة، أي: في صورة استعمار جديد، وإلا فإنّ المجتمع المنتج هو المجتمع الذي يفكّر بنفسه ويخلق بنفسه مثله وذهنه وقيمه وفنونه ومعتقداته وإيمانه ووعيه الديني وآراءه

1- هذه هي نظرية «الفردانية الاجتماعية» (في مقابل أنصار الفردانية الفلسفية والأخلاقية والنفسية وهي مقولة أخرى)، وهي تحريف لدرجة أنها لا تستحق عرضها، ونظريتهم تشبه أن يدعي فسيولوجي عظيم أنه يعرف بيتهوفن مثلاً عن طريق معرفة الخلايا التي كونت جسده خلية خلية. وهناك أيضاً نظرية أصحاب النزعة المؤسساتية الذين يعتقدون بأن المجتمع عبارة عن مجموعة مؤسساته من قبيل الحكومة والدين والأسرة واللغة «كأصول أساسية» والبنك وديوان الوزارة والتأمين والبريد وصندوق التقاعد والمؤسسات الاجتماعية الأخرى «أصول فرعية» وتشبه أن يقول عالم عظيم في التشريح وعلم وظائف الأعضاء مدّعياً: «إنني قد عرفت أينشتين بتشريح أعضاء جسده».

علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص71

التاريخية والاجتماعية ونظامه الطبقي واتجاهاته الجماعية، هذا المجتمع الذي يصل إلى الإنتاج الصناعي والاستقلال السياسي يصل إلى إنتاج رأس المال وإنتاج الحضارة المادية، ومن هنا لا يوجد مجتمع قط يُراد به ألا يصل إلى الإنتاج الاقتصادي الصناعي إلا وسُلبت من أجياله في البداية إمكانية الإنتاج الفكري والذهني، ومن أجل ألا يستطيع جيل قط أن يصل إلى استقلاله في مواجهة الغرب الحاكم المطلق على العالم، ينبغي أن تدمّر فيه كل قواعده الأساسية الإنسانية والثقافية التي تمنحه شخصيّة مستقلّة للأنا الإنسانية الحقيقية وأن يحوّل إلى إنسان غثّ وفارغ مغسول ومكنوس ومدهون: مثل قبر الكافر مزدان الظاهر، أما في الباطن فغضب الله عز وجل.[1]

❋ الإنسان هو أداة التغيير الأساسية:

الناس هم الذين يحددون مسار التاريخ، وذلك على أساس ماهو موجود في صميم الإنسان والمجتمع من سنن وقوانين، وليس هناك تغيير وتحول اجتماعي إلا وهو منوط وسيرهم العامة التي تسير بموجب سنن معينة لا تتبدل . ولكل واحدة من تلك السير والترعات والإرادات نتائج وأثار قطعية على الصعيد التاريخي أو الاجتماعي، وذلك عبر المعادلة التالية :

1- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص.ص40_41

من سنن التغيير والنهوض :

الإنسان وحركة التاريخ

الناس + السنة = بناء مجتمع وحركة التاريخ

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ولا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[البقرة/134]

﴿لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[النجم/39]

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر/38]، هذا على مستوى الفرد .

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد/11]، وهذا على مستوى المجتمع ككلٍ .

وهاهنا يتضح مدى التفاوت والاختلاف بين الفهم الكاثوليكي والفهم الإسلامي لمصطلح (المشيئة الإلهية). إن التغيير والتحول الاجتماعي ليس معلولا للمشيئة الإلهية، بل هو معلول للتحولات الأخلاقية والروحية التي تمرّ بها المجتمعات، والمشيئة الإلهية هي التي اقتضت هذا النحو من العلية والارتباط الذي هو بدوره سنة من السنن .[1]

الإنسان هو الذي يستطيع -بقدر نضجه وتصميمه- أن يفرض إرادته على إرادة التاريخ، كما أن الطبيعة تجعل النبات والحيوان – نسبياً – تابعة لإرادة الإنسان وصنعه، هذا بالرغم مما لهما من حياة وحركة طبقاً للقوانين العلمية المسلّم بها و«المعينة».[2]

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص102_103

2- علي شريعتي، العودة إلى الذات، ص.ص102

❋ مسؤوليات الإنسان:

الوعي النفسي:

(الوعي النفسي). وهو أن أعرف في الدرجة الأولى إلى أي عرق وأصل أنتسب، وبأية أمة أرتبط، وإلى أي تاريخ، وأي حضارة، وأي فترة زمنية، وأي أدب أنتمي، وإلى أي مجد ونبوغ وقيم أمت.هذه دعوة إلى (الوعي النفسي)يفوق هذا (الوعي الوجودي)، الوعي الذي يجعلني أشعر نفسي كمظهر إنسان كموجود إنساني في ذروة ألوهيته. أجد نفسي بتلك المظاهر فأعرفها تمامًا وآنس بها، وعندها لا أتخلى عنها بأي ثمن .إذ لايمكن المساومة على جزء من لحظات وجودي إن عرفت من (أنا) !هذه الـــ (أنا) التي تباع بسهولة. تغدو مع كل أحد عظيمة بعظمة كل الكائنات، إن هي اكتشفت نفسها قليلاً، وبلغت (وعيها) النفسي ،نعم وعيها النفسي ![1]

الوعي السياسي :

المسألة الثانية التي أسميها (ثقافة)، هي الوعي السياسي بالمعنى الأفلاطوني للسياسة، لا بمعناها الصحفي اليومي، بل بالمعنى الأفلاطوني للبحث المنتخب الاختياري.أي شعور الفرد بمرحلة المصير التاريخي والاجتماعي للمجتمع، وعلاقته بالمجتمع والمقدرات الراهنة بالنسبة إليه وإلى مجتمعه، وعلاقته المتقابلة بأبناء شعبة وأمته، والشعور بانضمامه

1- علي شريعتي ،النباهة و الاستحمار، ص.ص88_89

وارتباطه بالمجتمع، وشعوره بمسؤوليته كرائد وقائد في الطليعة، من أجل الهداية والقيادة والتحرير والحركة الشاملة تجاه شعبه وأمته. الأمر الذي يجعل هذا بمثابة مسؤولية ثانية للإنسان. فثقافة الإنسان، وثباته على ما من شأنه أن يستلب منه، شيء واحد.[1]

إن العدو اليوم ليس كالسابق، فهو لا يأتينا بلامة حربه كالخوذة والسيف، فيقتل ويذبح ثم يعود من حيث جاء، فنعرفه بسرعة أنه عدو. لا ليس كما تظنون، إنه يظهر من أكمام ثيابنا، نعم يظهر من كم الثوب! [2]

الوعي الاجتماعي والزماني:

ما كان الأنبياء فلاسفة ولا فنيين ولا أدباء ولا شعراء ولا علماء جمال ولا فنانين؛ بل كانوا أميين من عوام الناس، لكن لديهم نباهة ووعي بالنسبة للزمان. ومن أجل هذا شرعوا مسيرا للتاريخ وحركوه فصنعوا حضارة، وغيروا مصير مجتمعهم أكثر من أي حكيم، وأحسن من أي ذي فكر وأي عالم، وأكثر من أي كاتب وأديب. هذه المعرفة النبوية يمكن أن تكون حتى للفرد الأمي، بينما يمكن أن يكون الإنسان عالمًا بالمعقول والمنقول، لديه العلوم الحديثة والقديمة لكنه بعيد عن تلك المعرفة النبوية الاجتماعية.[3]

1- علي شريعتي ،النباهة و الاستحمار، ص.ص89_90
2- علي شريعتي ،النباهة و الاستحمار، ص.ص91_92
3- علي شريعتي ،النباهة و الاستحمار، ص91

❋ مواصفات المذهب الذي يؤدي إلى التغيير:

حتى يكون المذهب في صورة شعار أية نهضة ومذهب فكري لا بدّ له من اختزال نفسه في صورة شعار يتوفر على المواصفات التالية:

أن يكون واضحاً.

أن يكون ملموساً.

أن يكون على تماس مباشر بمتطلّبات الحياة اليومية وتطلعات أبناء المجتمع على اختلاف طبقاتهم وشرائحهم.

أن يكون مختصرًا لكي يسهل فهمه وتفهيمه للآخرين.

أن يكون مركبًا، بمعنى أن لا يتضمن مطالب ونظريات متعدّدة، وذلك لكي تتركّز كل الجهود الدعائية على مركز واحد ونقطة محورية تمثل جوهر الفكرة ولبّها، حتى تألف الأذهان الفكرة وتستوعبها بشكل راسخ وينشدّ إليها الناس فكريًا وعاطفيًا.

أن يكون حاسمًا جازمًا تفوح منه رائحة الجزم واليقين بالغلبة والانتصار.

أن لا يتبدل ولا يستعاض عنه بغيره إلى حين تحقيقه وأن لا يتخلّى عنه أصحابه في الظرف الحرج، ولا تجرى عليه تعديلات حتى إذا اقتضت (المصلحة) ذلك.

أن لا يتفرّع عنه شعار أو شعارات أخرى جانبية، وذلك لكي لا تتوزّع قوى الدفع والتحريك على أكثر من محور وتتشتّت فيضعف الشعار الأصلي.[1]

1-علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص188_189

«فشلت مشاريع النهضة في العصر الحديث لأنه،مع الأسف،لا يزال البعض يرى أن جوهر المشروع العربي النهضوي هو التخلي عن هويتنا وتراثنا ثم اللحاق بالغرب. وقد أدى هذا إلى إسكات حاستنا النقدية في علاقتنا مع الغرب، ونكتفي بنقل ما يأتينا من أفكار»[1]

الفصل السادس

حركات الإصلاح و التغيير

1- عبد الوهاب المسيري،الدفاع عن الهوية،www.elmessiri.com



❋ الإصلاح بين المثال والواقع:

الأنبياء شيّدوا المبادئ الأيديولوجية لدعواتهم على أساس نوع الحاجات المادية والاجتماعية للإنسان، بينما اليوتوبيّون لم يولوا أيّ اهتمام للظروف والإمكانيات المادية، وشيدوا في أوهامهم أبراجاً عالية لمدن مثالية ينعم سكانها بالأمن والحرية والعدل والسلام والسعادة الكاملة، في حال أن بناء هذه المدن لم يؤمن الناس من خوف ولم يسمنهم من جوع! ولم توفّر هذه المدن المثالية سوى مادّة للقراءة والمطالعة من قبل فئة من الناس يعشقون التجوّل في أروقة المكتبات، والعيش في عوالم الخيال البعيد عن الواقع، وكان من الطبيعي جداً أن تبقى هذه المذاهب الفلسفية حبيسة الكتب ورفوف المكتبات.[1]

❋ أعمال الرسل سنن لا معجزات:

س/الأنبياء بأديانهم يمثّلون دعامات لنظم اجتماعية، فهل يعتبرهم الإسلام ظواهر اجتماعية أم ظواهر لمشيئة إلهية ؟

ج/ ماذا صنع الأنبياء؟ وما هو سرّ انتصارهم؟ نعلم جميعًا أن الأنبياء كانوا أكثر المصلحين الاجتماعيين ظفراً ونجاحاً وتوفيقاً لاشك في ذلك سواء آمنا بهم أم لم نؤمن. سقراط أعظم نابغة عرفتها البشرية، ولكن

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص195

لدى إجراء مقارنة بين الإنجازات التي حقّقها سقراط وبين ما حقّقه عيسى وموسى ومحمد من منجزات، يتضح الفرق جليًا بحيث لا يبقى مجال للمقارنة بين الاثنين.

لقد تكفّل الأنبياء بهداية المجتمع وركب الحضارة وتوجيه التاريخ، بينما لم يبقَ من سقراط سوى الكلام الجميل الذي لم يرتقِ لمستوى صناعة مجتمع وتاريخ، إنّ جدارة الأنبياء وغيرهم من المصلحين الإنسانيّين تجلّت في قدرتهم على كشف قوانين المجتمع وسنن التاريخ. لقد شخّصوها بدقّة وطبّقوا رسالاتهم على سنن التاريخ فكان النجاح حليفهم، وذلك خلافًا للفلاسفة المثالين واليوتوبيين من أفلاطون إلى توماس مور وكذلك الكثير من المصلحين الاجتماعيين الجدد أمثال أغوست كنت وسان سيمون وبرودن وراسل وسارتر وغيرهم من أصحاب المذاهب والمدارس الفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة والذين لم يوفقوا لاكتشاف قوانين المجتمعات، وظلوا جليسي دورهم ينظرون للمدينة الفاضلة أو الطاهرة ،وقد نجحوا – والحق يقال – في بناء هذه المدن ،ولكن على صرح من الخيال !

يقول أفلاطون: إذا لم يقدر لقوانين مدينتي الفاضلة أن تطبق على الأرض فلتطبق إذن في السماء! بينما الأنبياء عزفوا عن مهمة خلق القوانين وعكفوا على كشفها، وقد فعلوا، ومن ثم صاغوا رسا لاتهم التربوية على ضوء ماهو موجود من سنن وقوانين، على غرار صاحبنا

البستاني الذي اكتشف أولا قوانين الطبيعة وقواعد تربية الأشجار ثم غرس النبتة فأينعت بعد حين، وهكذا صنع الأنبياء !.[1]

❋ المفكر المستنير:

المفكّر المستنير هو مفكّر قد بلغ «الوعي»، وبالتالي فهو ذو رؤية شاملة منفتحة ومتطوّرة وقدرة على إدراك أوضاع العصر والمجتمع الذي يعيش فيه وتحليلها منطقيّاً، وذو إحساس بالارتباط التاريخي والطبقي والقومي والبشري و ذو رؤية واتجاه اجتماعي محدّد، ولا بدّ له أيضاً من إحساس بالمسؤولية وهي وليدة نفس ذلك الوعي الإنسانيّ الخاص، الوعي بالذات والوعي بالعالم والوعي بالمجتمع، وهذا الوعي هو أسمى ميزة في النوع الإنساني وهو أكثر تجلّياً فيمن نضجوا من أفراد. هذا الوعي ليس فلسفة أو علوماً طبيعية وإنسانية أو فنوناً وصناعات وآداباً أو بقيّة الفروع والتخصّصات الأخرى. هو نوع من الوعي الأيديولوجي أو بتعبير القدماء: نوع من الاستعداد للهداية وشعور بالنبوّة وحاسّة القيادة، نفس الطريق الخاص الذي كان موجوداً عند الأنبياء، هو العلم الذي عبّر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «نور يقذفه الله في قلب من يشاء» هو نفسه الوعي. والحكمة في القرآن وغالباً ما تذكّر مع «الكتاب» عطية من الله يبلغها الأنبياء للبشر. هي أيضاً نفس هذا الشيء.[2]

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص94_97

2- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص150

❋ البصيرة النبوية:

الذين لا يعرفون التاريخ ولا يعرفون شيئاً عن تكوّن الحضارات العظيمة الماضية يستطيعون النظر إلى الدول المتأخّرة الجامدة أو المبتلاة بالاستعمار في العصر الحديث ويدركوا أنه نتيجة لأيديولوجية قومية أو طبقية أو اجتماعية أقامت بعثاً في هذه الدنيا، وفي ظروف ما لا يقلّ عن نصف قرن بلغت مرحلة مزدهرة جداً من التقدّم والقوّة والمدنية. إنّ الوعي الأيديولوجي مثل روح قوية تنفخ في جسد ميت لعرق ما أو أمّة أو مجتمع ما منحط ومستعبد، وفجأة تثور القبور الفردية، وتقيم قيامة من الحياة والحركة والتطوّر والخلق والنبوغ والثقافة والعلم والفلسفة. وهكذا تخلق حضارة جديدة وتفور من داخل أمة ما.

هذا الوعي الخاص بالإنسان: أي أناس ينبغي عليهم أن يمنحوه للناس، وهذه الروح في إسرافيل ينبغي عليه أن ينفخها في الجبانة الساكنة الحزينة لأمة ما لا شك في أنه المفكر. وفي الإسلام أُهم «الخاتمية» على أساس أنّ الرسالة التي تعهّد الأنبياء بها بين أقوامهم حتى الآن، على المفكّرين أن يواصلوها من الآن فصاعداً. لكن ليس هذا الصنف من المفكّرين الذي يملك معلومات في أحد فروع العلوم، بل هذا الصنف من المفكرين الذي يتمتع بشعور النبوة، الشعور الذي دفع المهاجرين المنحطّين الوثنيين المتفرّقين في منطقة بين النهرين إلى طريق وضع أساس أعظم حضارة

أذلاء جبلوا
علهم صناعاً
ر الذي نفخ
في المجتمع
وداء المظلمة
إلى مستوى
ي جعل من
حركة عالمية

ول الإنسان
ذاتي خلاق
لق الإنسان
هذه الرسالة
في أيديهم.
«التفكير»
نية، بل: هو
والاستعداد
ت مجهولات
اعي والعصر

والصعوبات وطريق الحركة والنجاة والكمال هذا وعي خاص ما وراء الأمور العقلية والفنية وفي نفس الوقت بنّاء للمجتمع وخالق للحضارة، ومسبب للحركة والبعث الاجتماعي والفكري عند أمة ما، ويمكن الآن الوصول إليه بقدر أو بآخر.

وتمييز الوعي العلمي عن الوعي ما وراء العلمي أي الوعي الاجتماعي والسياسي وبتعبير آخر للوعي الأيديولوجي أو الخلاقية العلمية والقيادية، يعدّ من الأمور السهلة في عصرنا الحاضر، وكلّ واحد منا يستطيع اكتشاف الشخصيات المعاصرة بهذا المقياس فهناك باستور وكوخ ووات وماركوني ومارس ونيوتن وداروين وآينشتين في ناحية، وفي ناحية أخرى: سيد جمال الدين ومحمّد عبده والكواكبي وإقبال وغاندي ونيريري وإيما سيزار وفانون وتشي جيفارا وعمر مولود... إلخ.

هذا الوعي والرؤية الخلاقة صانعة المثل المتحركة التي يمكن أن نطلق عليها بوجه عام: الأيديولوجية والوعي الذاتي الإنساني والوعي الاجتماعي والوعي بالتاريخ، وعلم التكامل والقيادة، والإحساس الثوري المغير، والإدراك المدرسي والمسلكي وحاسة الهداية أو إدراك المبادئ والبعث الاجتماعي، هي معرفة خاصة بما هو فوق العلوم والفنون، تتجه لا إلى الإنسان كما هو كائن بل إلى الإنسان في حالة تكوّنه، ومن هنا اعتبرها من قبيل الحكمة والعقل المقدّس والبصيرة النبويّة، ومن هنا قدسيّتها ما وراء العلمية، وأحبّ من أجل أن أُيسّرها أن أسميها اقتداء بتعبير أفلاطون: «الوعي السياسي».

يقول أفلاطون: الإنسان حيوان سياسي. وهذا قول عميق جداً، والمفسرون الذين يعتبرون أنفسهم أكثر فهماً من صاحب النص، فسّروه على تصوّرهم بأنها تعني أنّ الإنسان حيوان اجتماعي اعتباراً من أن السياسة أمر عادي بل وقبيح وسيئ، فالسياسة هي الخداع والظلم وطلب السيطرة على الناس وطلب القوّة والحكم، وإيذاء الخلق أو هي في خلاصة الأمر الاشتغال بالأمور المادية اليومية، ومن هنا لا يمكن أن تكون من «فعل الإنسان» والصفة التي تميّزه عن الحيوان، فجاؤوا وعدلوا في سوء تعبير الأستاذ وضعف تفكيره وضعوا كلمة «اجتماعي» محل كلمة «سياسي» في حين أن اجتماعي وسياسي كلمتان مستقلّتان في اللغة اليونانية وما تزالان تستعملان حتى اليوم في اللغات الأوروبية. هذا فضلاً عن أن «الاجتماعية» ليست من الصفات المميزة للإنسان، فنحل العسل والنمل وكثير جداً من الحيوانات تتميّز بصفة الاجتماعية، بل إن نحل العسل أكثر اجتماعية من الإنسان؛ أما السمة «السياسية» فهي الخاصة بهذا النوع. والسياسة غير الحيل القبيحة والخدع والخطط اللاأخلاقية من أجل هزيمة الخصم أو بلوغ المقام، بل هي غير الحكم والسيطرة على الخلق فالسياسة تعني الإحساس بالارتباط بمجتمع ما، والوعي بالنسبة لوضع الجماعة ومصيرها، والإحساس بالمسؤولية الفردية في مواجهتها، والتميز بضمير اجتماعي أو جماعي، والاشتراك في حياة مسيرة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ويشترك معه

في المصير والإحساس ويشاركه حركته وكدحه وعمله وعلى حدّ قول هايدجر: ((إنّ الإنسان الذي يعلم أنه موجود هو فحسب الإنسان الواعي بوجوده في العالم والذي يحسّ أنّه موجود، ومن هنا فالإنسان وحده هو الموجود بالمعنى الوجودي لكلمة وجود)). ويمكن تطبيق هذا القول أيضاً إذا وضعنا كلمة المجتمع محل كلمة الوجود، فالإنسان مثل كثير من الحيوان «اجتماعي» أي: يعيش في المجتمع لكن الإنسان هو وحده الذي يعرف أنّه يعيش في المجتمع، أي: على علم بوجوده بين الآخرين وبوجود المجتمع الذي يُعتبر هو أحد خلاياه يحيا به ويستمد منه معنى وجوده، وفي رأيي أنّ هذا الوعي هو الذي يسمّى بالسياسة، ومن هنا إذا أردنا أن نترجم قول أفلاطون ترجمة ذات معنى علينا أن نقول: «الإنسان حيوان ذو وعي اجتماعي» بدلاً من أن نقول: الإنسان حيوان اجتماعي، ومن هنا نستمد عوناً جديداً في تعريف المفكّر تعريفاً دقيقاً.

والمفكر الذي هو على كلّ حال أكثر المفكّرين وعياً «في مقابل المفكّرين غير الواعين» هو المفكر السياسي. وإدخال كلمة «روشن: مستنير» في الصفة نابع من هذا المعنى[1]، أي أنه الإنسان الذي يدري أين هو، وهو على معرفة واضحة بوعيه. ومن هنا لو أننا وضعنا المفاهيم السابقة للمصطلحات التي اعتادت عليها عقولنا جانباً، نستطيع أن

1- المترجم: روشنفكر تعني بالفارسية المفكر وتعني حرفياً مستنير الفكر.

نقول إنه بالفصل بين مفهومي الخدمة والإصلاح، أو بالمصطلح الخاص بعلم الاجتماع الفائدة والقيمة، فإن العلوم المفيدة الخادمة تجاهد في منح الإنسان «كما هو موجود» المتعة والسيطرة على الطبيعة والرفاهية أو في كلمة واحدة «السعادة» وأولئك الذين يقومون بهذه المهمة هم المثقّفون على وجه العموم أو المتعلّمون، ووراءهم يوجد نوع من «الوعي الذاتي الاجتماعي» الخاص يسمّى بالوعي السياسي يتجلى في صورة إيمان وأيديولوجية ومدرسة فكرية اجتماعية ومسلك لطالب المبادئ إنساني وقومي وطبقي، يجاهد في أن يدفع الإنسان «الفرد والمجتمع» مما «هو موجود عليه» إلى «ما ينبغي أن يكونه» وهدفه المباشر ليس الراحة والسعادة أو المتعة والسيطرة على الطبيعة بل هدفه المباشر: الثورة والحركة والكمال والقوة الروحية للإنسان وسيطرته على نفسه. والعلوم هي التي تجعل الإنسان مقتدراً بحيث يستأنس الطبيعة كما يريد، والأيديولوجية تجاهد في أن تجعله قويّاً وناضجاً بالنسبة لقدرة الإرادة والاختيار والإيمان والوعي الذاتي حتى يصنع نفسه كما يريد.

والإنسان هو الذي يخلص حريته ومصيره من السجون الثلاثة: الطبيعة والتاريخ والمجتمع، ويستطيع بمعجزة الإيمان والوعي الذاتي أن يخلّص نفسه من أصعب سجونه أي: سجن النفس[1] حتى يصير خالقاً لنفسه ومجتمعه وتاريخه وعالمه، أي تسمو هذه المعجزة بذلك الإنسان المثالي

1- المترجم: لشريعتي رسالة بعنوان «جهارزندان إنسان: السجون الأربعة للإنسان» تناول فيه هذا الموضوع بالتفصيل.

أو الواقعي إلى إنسان حقيقي، وأولئك الذين يحملون على عواتقهم مثل هذه الرسالة الإلهية والنبوية في المجتمع الإنساني وفي تيّار التاريخ كانوا الأنبياء في الماضي وبعد خاتمية عصر الوحي صاروا هم المفكّرين.[1]

❋ القيادة الرشيدة بين حكمة النبوة ومشقة الرعي:

محمد صلى الله عليه وآله وسلم راع. وكذلك الأنبياء السابقون عليهم السلام فهل بين الرعي والنبوة من وجه اشتراك؟ نعم . وهو القيادة! فالراعي يرعى القطيع ويصونه من الأخطار. ناهيك عن أنّ الرعي هي الحرفة الوحيدة التي يضحّي فيها صاحبها بكل ما لديه من أجل القطيع، إنه يهجر الأهل والديار وينطلق بها إلى الصحراء، رابطًا مصيره بمصير القطعان التي يرعاها، حارمًا نفسه من مجمل مواهب الحياة، حقًا من أجلها، ويتعلّم الراعي درسًا آخر يصعب على الآخرين تحمّله إن لم نقل إنه درس التضحية من أجل الجماعة التي لا تدرك قيمة هذه التضحية ولا تفقه معناها، وحمل همّ مخلوقات لا همّ لها إلا بطنها وإشباع رغباتها، هذه -لعمري- أسمى مستويات القيادة، وهذا هو السرّ في احتراف الأنبياء لمهنة الرعي، وذلك أنهم يريدون التضحية من أجل قوم يشبهون في واقعهم القطيع من حيث أنهم مكبّون على وجههم ولا يفكّرون سوى بملء بطونهم كالأغنام، وهكذا يتمرّن الأنبياء على تحمّل العذاب والمشقة والمعاناة!

1- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص.ص151_155

هل تُطاق رؤية وجوه حمقاء تثير اللوعة والغثيان فضلاً عن معايشتها ومشاركتها في الحياة المعنوية والاجتماعية والعمل الفكري والنضال السياسي، وفي بيئة مثل هذه ومع أناس كهؤلاء؟! هاهنا يتجلى مغزى قول النبي صلى الله عليه وسلم (شيبتني سورة هود).[1]

❋ روح حركات الإصلاح والتغيير الاجتماعي بين العامة والمتعلمين:

الوقود المحرك لروح حركات الإصلاح:

السبب في هزيمة كل الحركات الاجتماعية وانحرافها في الدول التقليدية والمتأخرة هو أن المتعلمين فقط «المثقفين» - جماعة واعية وعلى معرفة بالعصر — هم الذي كانوا يتحدثون عن مصير المجتمع والطريق والمستقبل، ولما كانت الأمية عامة، كان هؤلاء طوعاً أو كرهاً هم الذين أمسكوا في أيديهم بقيادة الحركات «نيابة عن الأمة»، ولما كانت فطرتهم الاجتماعية تغاير قيادة الشعب، وهو من صميم عمل الشعب نفسه، فمن الطبيعي أنّ روح حركة ما وتقدّمها وحماسها كلها تتغذّى من عصارة إيمان الشعب وإرادته. فإما أن هذه الحركات كانت تموت وتمسخ في القوالب المنطقية والقانونية والحقوقية والعقلية المجردة البعيدة عن «الواقع» التي صاغتها عقول المتعلمين المصابين بداء الكتّاب

1- علي شرعتي،معرفة الإسلام،ص91

والمتفلسفين والموجهين، ثم تتحوّل في النهاية إلى «كلمات علمية»، وإما أنها كانت تنحرف علناً أو توضع عليها «العمامة الخادعة» المسمّاة بالـ«مصلحة والإستراتيجية والتكتيك» و«الحلول الفكرية» التي كانت تقوم بتشديد قبضة العبودية الاستحمارية على الأمة. وما يسمى بالاستعمار الجديد هو عبارة عن المصير الذي جرّ المثقفون البارزون حركات أممهم المضادة للاستعمار الناجحة إليه.

والخطر الذي يهدد كل الحركات التحررية المضادة للاستعمار في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، بل وحاق بالكثيرين من شعوب هذه المناطق، هو أنّ العوام أهل الحواري والسوق والمصنع والمزرعة، شخصيات مجهولة علاها التراب وأمّية مثل ستارخان وباقرخان والشيخ علي مسيو الخباز التبريزي[1] يقومون بتضحياتهم الزاهدة وميتاتهم الطاهرة وبطولاتهم غير الشهيرة والمجهولة في قمع الاستعمار والاستبداد، وبمجرد أن يُطرد العدو وينتهي عهد الجهاد ويصل عهد الإدارة والحكم، لا تعود هناك أية أهمية بعد للمجاهدين الذين قضوا أعمارهم في الريف والمصنع، وكانوا يحاربون السنوات الدموية في الجبهة، فيضعون البنادق ويمضون إلى أعمالهم، أما أولئك الذين كانوا طوال هذه السنوات الدموية الخطرة على ضفاف السين والتايمز، وفي هولندا وبلجيكا وأمريكا ودول الـ«متروبول الأخرى غارقين في المتعة والأمن، يعيشون بعيدين وغرباء

1- المترجم: باقرخان رفيق ستارخان في الحركة المسلحة في تبريز والهجوم على طهران إبان الحركة الدستورية وكان رزازا والشيخ علي مسيو مجاهد عظيم وكان خباز.

عن مجتمعاتهم وحركات قومهم، وصاروا أطباء ومهدسين ومتخصصين في الاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع والتخطيط والحقوق والطب، فإنهم يعودون ويحتلون المناصب الحساسة القيادية، ويجعلون من دماء الشهداء مكاتب وسيارات ومرتبات ضخمة وامتيازات اجتماعية كثيرة ويبتلعونها، وفي مقابلها يقدمون للناس المحاضرات العلمية والمؤتمرات وقاعات البحث والمصطلحات الفنية والبرامج التخصصية وموضوعات علم الاجتماع والفلسفة، وفي النهاية فإن عزاء الناس والمجاهدين في أنه: في السهرات وحفلات الكوكتيل ووراء المكاتب، هناك أشخاص أسماؤهم ومحالِ ميلادهم محلية بدلاً من ذلك الفرنسي والهولندي والإنجليزي والبلجيكي.[1]

❋ الوعي شرط جوهري لنجاح أية حركة إصلاحية:

إنّ السبب في فشل الحركة الدستورية عندنا، لم يحدث إلا لأن القادة قاموا بتوجيه الناس وتقديم الحلول النهائية دون أن يمنحوا الناس الوعي الاجتماعي والرؤية السياسية، ورأينا مرة أخرى كما رأينا قبلها وبعدها، أن نتيجة فرض الثورة على مجتمع لم يصل إلى الوعي بعد، ولا ثقافة ثورية لديه، لن تكون إلا مجموعة من الشعارات التقدمية لكنها فاشلة.[2]

1- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص.ص95_97

2- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص106

الإصلاح ليس خطبة ولكنه وعي ورسالة و مسؤولية:

الوعي يعني العلم بكيفية المجتمع والتاريخ، والظروف الطبقية والأيديولوجية تعني كيفية حياة الإنسان وكيفية صنع المجتمع، وفي عبارة واحدة: القدر الذي يقول به الإنسان بالنسبة لنفسه وبالنسبة لمجتمعه، والمنظر «صاحب الأيديولوجية» هو المخطط المثالي للمجتمع.

ونتيجة للإيمان بالمبادئ الثلاثة الآتية:

1- أنّ المتعلمين المثقفين لا يستطيعون مواصلة قيادة الحركات الاجتماعية الأصيلة في مرحلتها الطبقية، والعمل نيابة عن الناس أنفسهم، بل يستطيعها أولئك الأبطال الأميون الذين تتجسد فيهم إرادة الأمة، ويستمدون روحهم ورؤيتهم وحركتهم وصمودهم الفطري والإرادي من قلب المجتمع مباشرة، ولهم جذور في أعمق أعماق الأمة الخصب.

2- أنه ما لم يصل الناس إلى الوعي وما لم يصيروا هم أنفسهم أصحاب شخصيات إنسانية وتحديد طبقي واجتماعي للوضع، وما لم يرتقوا من مرحلة التقليد والتبعية لشخصياتهم الدينية والعلمية التي تحتكر الفتوى والقدوة (وعلاقتها بالناس علاقة المراد والمريد والعالم والعامي والإمام والمأموم) إلى مرحلة من النضج الاجتماعي والسياسي يكون فيها القادة هم الخاضعون لإرادتهم وخط سيرهم الواعي.

3- وأخيراً، بالعلم بأنه ليس وجود الاستغلال الطبقي والفقر وانعدام العدالة والانحطاط، بل الإحساس بهذه الواقعيات الموجودة

والوعي الصحيح للضمير الاجتماعي والطبقي بالنسبة لها هو الذي يحدث الحركة الثورية الصحيحة الواعية. وإلا فإن الأمر كما رأينا وما زلنا نرى كثيراً في التاريخ (والجغرافية أيضاً)، أنه ما أكثر المجتمعات التي احتفظت لقرون طويلة بالفقر والتناقض والاستغلال والتفرقة الطبقية والاجتماعية في قلبها، وما أكثر المجتمعات الإنسانية التي توقف فيها التاريخ عند مراحله الأولى وتوقف عن الحركة آلاف السنين، وكأنما لا تصدق عليها مقولة قط من هذه المقولات التي جاء بها علم الاجتماع والاشتراكية العلمية وفلسفة التاريخ والمسير الجبري للجدلية والمبدأ الأصلي الدائم للتغيير والتطور.

والخلاصة أنه بناء على هذه المبادئ، فإن رسالة المفكر المنتسب إلى مثل هذه المجتمعات هي في عبارة واحدة: نقل واقعيات التناقض الموجودة في قلب المجتمع والعصر إلى أحاسيس الناس ووعيهم. يقول روسو: ((بينوا الطريق للناس ولا تحدّدوا ما عليهم، امنحوهم الرؤية فحسب، وهم سوف يجدون الطريق بأنفسهم، وسوف يعرفون ما عليهم)).[1]

الأساسيات التي تقوم عليها حركات الإصلاح والتغيير:

ينبغي أن نقرأ ونتوافق على هذا الأساس المشترك أن الطريق والهدف مهما كانا فهما:

1- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص.ص104_105

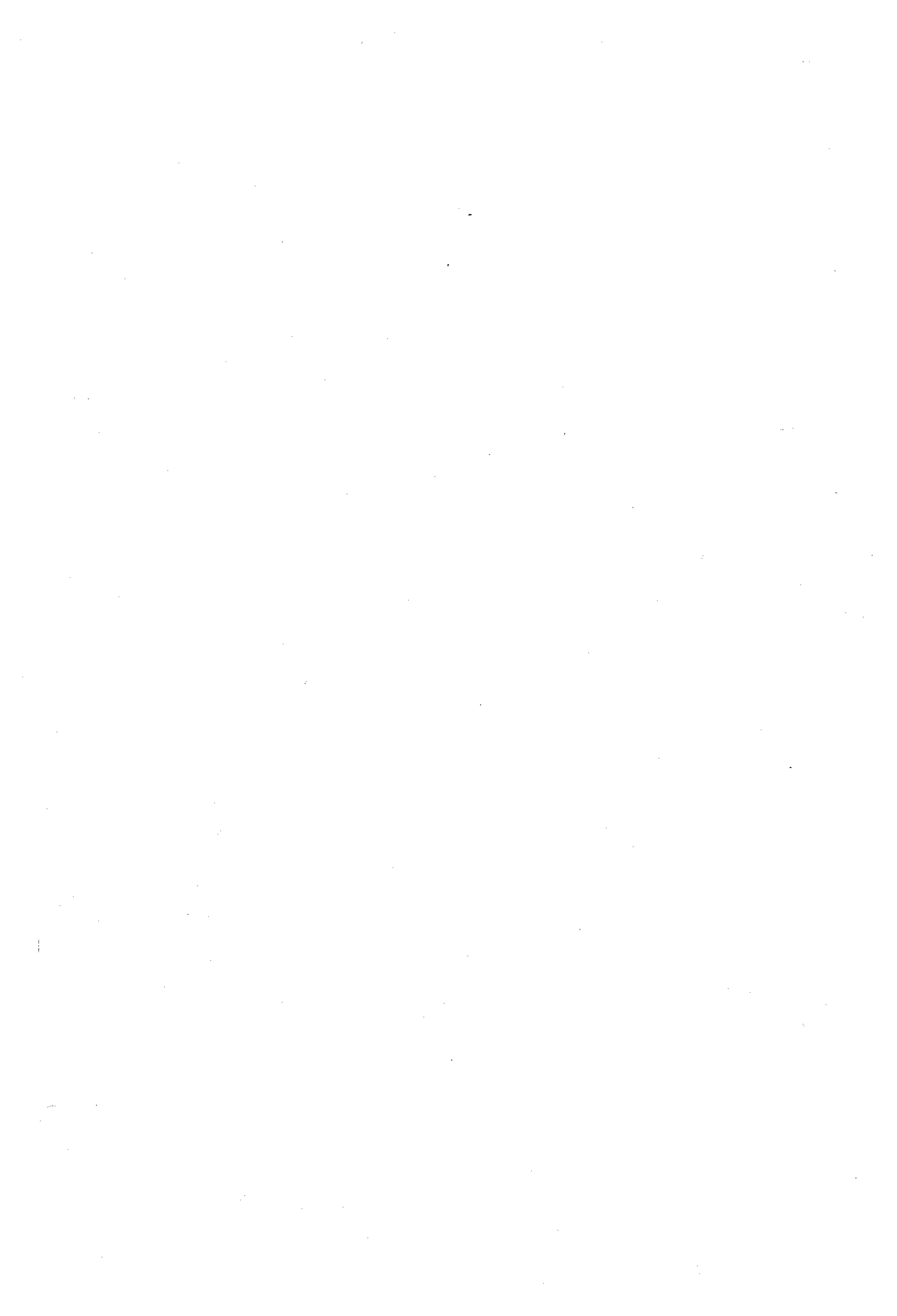
أولاً: ما لم يوقظ قلب الأمة، وما لم يجد ضمير الأمة وعياً اجتماعياً، فكل مدرسة وكل حركة، سوف تبقى عقيمة ومجردة.

ثانياً: أن الناس، والناس فحسب هم الذين يستطيعون تحرير أنفسهم، وينبغي أن تكون قيادة الحركة الاجتماعية في أيديهم مباشرة، وما لم يصل قلب الأمة إلى «الحماس والانفعال التلقائي» والحركة والخلاقية الاجتماعية، وما لم يصنع الشعب من بينه أبطالاً وشخصيات جديرة بنفس السمات الشعبية المخلصة والأصيلة والصادقة، أو بالتعبير العميق الرائع الوارد في القرآن «أميين»، وما لم يقدمهم إلى صفوفه الأولى، فإن حضور المتعلمين بالنيابة عنهم، لن يستطيع أن يكفلهم أبداً، ولو أنهم حققوا بعض الانتصارات في بداية الأمر مؤقتاً، فإن مواصلة العمل في المراحل التي سوف يكون فيها العمل صعباً قاسياً، وتهجم وسوسة الذهب ووسوسة القوة، لن تكون باعثة على الاطمئنان.

ثالثاً: خلافاً للغفلة الذهنية التي ابتلي بها كثير من المتعلمين بل وكثير من المفكرين «وهذه الغفلة وليدة العرقية الخاصة بالمفكرين »على حد قول اشبنجلر: «بدلاً من أن نقوم بالاتصال المباشر مع قلب الواقعية ولمسها، نجلس معاً ونتحدّث عن الواقعية على أساس المقولات الكانتية والأصول العقلية والمنطقية ومبادئ [العلموية]، ونحكم عليها غيابياً، ونقوم بتحليلها، ونستنتج منها القواعد، وعلى أساس مثل هذه المعرفة التي حصلنا عليها والتي هي ذهنية إلى هذا الحد وبعيدة عن الواقع،

نقوم بوضع المشروعات والخطط والعمل، وحين نتجه نحو الواقع نحس بمسخها وتحريفها لأننا نحس أننا غرباء عنه تماماً». وواحد من المبادئ التي أدت إلى أخطاء فاحشة من المبادئ العقلية والعلموية هي أننا نظنّ أن الفقر والظلم والحاجة والتناقضات الشديدة في المجتمع في حد ذاتها، وصعود منحنى نضج طبقة ما إلى أوجه، وتضاد المصالح في حد ذاته، والاستغلال وما تقتضيه الحتمية التاريخية، كلها أمور في حد ذاتها سوف تصير علّة للتطور الحتمي في المجتمع ووقوع التمرّد والانفجار والتغير الحاسم. وعندما نفكر بأذهاننا نصل إلى أمثال هذه النتائج، نتائج معقولة تماماً ومنطقية وقائمة على دليل وعلمية مائة في المائة، لكن الواقع للأسف لا يؤيدها دائماً، إذ نرى أنه ليس الفقر هو الذي سيصير سبباً في الحركة والتمرّد لكنه الإحساس بالفقر، إنّ شعور الطبقة المحرومة بالنسبة للوضع الطبقي المتناقض في مجتمعها هو الذي يدفعها للحركة.[1]

1- علي شريعتي،العودة إلى الذات،ص.ص100_101



((لا يعني التسليم لله سلبية في موقف الإنسان كما يظن كثير من الناس خاطئين.في الحقيقة، إن طاعة الله تستبعد طاعة البشر والخضوع لهم. إنها صلة جديدة بين الإنسان وبين الله، ومن ثم بين الإنسان والإنسان))[1]

الفصل السابع

الدين التوحيدي المنفتح

1- علي عزت بيجوفيتش،الإسلام بين الشرق والغرب،ص396



❋ عبادة الله تنبذ عبادة الطاغوت:

عبادة الله هي أبرز خصائص هذا الدين الإبراهيمي_وأنا اصطلح عليه بالإبراهيمي كيما يتسنى لكم فهمه بوضوح _فعلى مر التاريخ كان ثمة دين توحيدي يدعو إلى عبادة معبود واحد هو خالق كل الكون والمهيمن على كل شيء فيه، وهو الذي يرسم الطريق للبشرية جمعاء ويحدد هدف التاريخ ويصوغ القيم الإنسانية على معيار محدد، وهذا الدين يقف بوجه كل الحركات الداعية لعبادة الطاغوت من أبينا آدم إلى النبي الخاتم، وإلى نهاية المطاف البشري. وبدورهم يقف عبدة الطاغوت _على اختلاف أصنافهم _بمواجهة هذه الحركة الاعتقادية التي تدعو الإنسان إلى الانقياد لنواميس الكون الكبرى والتسليم بإزاء الإرادة الإلهية الحقة التي رسمت طريق الخلقة وحددت لها هدفها العظيم وغايتها القصوى متمثلة با لله!هؤلاء العبدة لا يألون جهدًا بالوقوف بوجه دعوة كهذه اسمها (الإسلام) ويتعمدون وضع العراقيل في طريق أهدافها.

بيد أن هذا الدين الذي يدعو إلى الانقياد المطلق لإرادة الرب، هو _في الوقت ذاته وللسبب ذاته _ يدعو إلى الثورة والطغيان على كل ما سواه، وكل خطاب فيه يدعو إلى عبادة الله ينجر تلقائيًا إلى نبذ عبادة الطاغوت. وعلى الجانب الآخر يحصل الشيء ذاته مع دين الشرك

حيث يدعو أتباعه إلى الطغيان بوجه ناموس الكون الأعظم والتمرّد على الإرادة الإلهية ورفض دعوة الإسلام، وذلك امتدادًا لدعوته إلى عبوديّة القوى والأقطاب الأخرى التي تجسّد بنفسها مفهوم الآلهة المتعدّدة.

❋ دعوة الدين الإبراهيمي تحدي لدين الطاغوت:

فالدين الإبراهيمي هو الدين الذي ظلّ يواجه دائماً دين الطاغوت والملأ والمترفين ويدعو الناس إلى النهوض والتمرّد على جبهة (الملأ)، ويبشّرهم بأنّ الله تعالى معهم وفي صفوفهم.[1]

إني أتحدث عن دين بعث أنبياؤه لمقارعة دين الشرك بجميع أشكاله.[2]

❋ سمات دين الشرك المنغلق:

التسليم بوجه الأصنام:

الشرك يعني الطغيان على العبودية لله، ولكنه في نفس الوقت يعني العبودية والتسليم للأصنام (بمعناها الشامل لكلّ ما يتخذه البشر آلهة زورًا وتزويرًا بمعونة جهل الناس وظلم الحاكمين). إن عمل الطاغوت يتجلى في الطغيان بوجه القوة العظمى المهيمنة على عالم الكائنات، وأيضًا في التسليم بوجه (ما تنحتون). وهذه الـــ (ما تنحتون) شاملة لكل ما من شأنه أن يكون صنمًا يعبد من لات وعزى أو ماكثة

1- علي شريعتي،دين ضد دين،ص55

2- علي شريعتي،دين ضد دين،ص55

ورأسمال أو دم وعرق، إن هذه جميعًا نماذج تطبيقية لمفهوم الطاغوت الذي يقف في مواجهة الله.

تبرير الوضع القائم:

يسعى دين الشرك دائماً إلى تبرير الوضع القائم عبر ترويج المعتقدات ذات الصلة بما وراء الطبيعة، ويسعى إلى تحريف الاعتقاد بالمعاد والمقدسات والقوى الغيبية ويشوه المبادئ العقائدية والدينية ليقنع الناس بأن وضعهم الراهن هو الوضع الأمثل الذي يجب أن يرضوا به؛ لأنه مظهر لإرادة الله تعالى وهو المصير المحتوم الذي كتبه الله عليهم.[1]

❋ سمات الدين التوحيدي المنفتح:

الدين التوحيدي وليد وعي الناس :

هذا الدين وليد وعي الناس وحاجتهم الماسة إلى العشق والعبادة والوعي، غير أنه لم يتحقق عينياً في التاريخ، بل ظلّ على شكل نهضة انتقادية عارمة نقدت التاريخ ولم تتحقق فيه بشكل كامل قط . وإن الدين الذي هيمن على التاريخ هو دين الشرك – دين الطاغوت والملأ والمترفين – الدين الأفيوني الذي أخذ على عاتقه مسؤولية تبرير الوضع الموجود.[2]

1- علي شريعتي،دين ضد دين،ص42

2- علي شريعتي،دين ضد دين،ص55

الدين التوحيدي ذو طابع نقدي و ثوري:

ومن خصائص دين التوحيد أيضًا، الطابع النقدي الهجومي الثوري الذي يتصف به، وذلك في مقابل الطابع التبريري الذي يشكل السمة الأكثر بروزًا من بين السمات الأخرى لدين الشرك بمفهومه الأوسع.[1]

الدين الثوري، هو دين يغذي أتباعه ومعتنقيه برؤية نقدية حيال كل ما يحيط بهم من بيئة مادية أو معنوية، ويكسبهم شعورًا بالمسؤولية تجاه الوضع القائم يجعلهم يفكرون بتغييره ويسعون لذلك فيما لم يكن مناسبًا.[2]

الدين التوحيدي ثورة على السلطتين السياسية والدينية معاً:

إن السمة الأساسية لهذا الدين _الدين التوحيدي _ أنة يتفادى تبرير الوضع القائم تبريراً دينياً ولا يؤمن بمبدأ الرضوخ للأمر الواقع أو اتخاذ موقف اللامبالاة حيال ما يحيط به. لا حظوا حركة الأنبياء، سوف يتضح لكم أن الأديان التوحيدية، خاصة في مراحل ظهورها الأولى، أي: فترة نقائها من الشوائب والتحريف، تتسم عادة بطابع رافض للوضع القائم، ونزعة ثورة وتمرّد على كل جور وفساد، وهذا التمرد والطغيان يأتي متصاحباً مع العبودية والخضوع لموجد الكون، والانقياد لقوانين الوجود التي تتجلى فيها الإرادة والقدرة الإلهيتان.[3]

1- علي شريعتي،دين ضد دين،ص40

2- علي شريعتي،دين ضد دين،ص40

3-علي شريعتي،دين ضد دين،ص.ص40_41

«يا أيها الناس إن ربكم واحد. وإن أباكم واحد. كلكم لآدم وآدم من تراب. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. ليس لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، و لا لأحمر على أبيض، و لا لأبيض على أحمر، فضل إلا بالتقوى...»

(الرسول محمد ﷺ في حجة الوداع)

الفصل الثامن

مقومات الإسلام الحضارية

❋ حض الإسلام على التفكير :

إن العلوم كانت تنتهل في الأديان القديمة لا لأجل تحصيل المعرفة بل لإقناع الناس بالدين؛ فالسومريون والبابليون والآشوريون كانوا مثلا يعرفون علم الهيئة وينظرون في النجوم، ولكن لا على أساس أن ذلك إنجاز علمي،بل لإشباع حاجتهم الدينية، وتنظيم أعمالهم وطقوسهم الدينية حسب الأمكنة والأوقات. وقد تعلم المصريون فنون الرسوم والنحت والهندسة المعمارية والتحنيط بالمومياء لحفظ تماثيل الآلهة وصيانة جثث الموتى وتزيين قبورهم . مضافًا إلى ما مرّ، فإن النظريات الفلسفية القديمة اتجهت نحو الأمور الكلية والمجردات، فمثلا نعلم أن الله واحد وبسيط،، ولكن حينما يسخطه فعل العبد فلا شكّ أن هذا الغضب والسخط سيثار في نفسه (تبعاً لحدوث الذنب) في حال أنّه لم يكن موجودا قبل ذلك ،وفي ضوء ذلك يطرح السؤال التالي نفسه: إذا كان الله قديما فكيف تبرز فيه حالة من هذا القبيل؟ وهل نضطر للالتزام بأن الوجود الإلهي الواحد البسيط حادث وقديم في آن واحد ؟ هذا غير ممكن؛ لأنه جمع بين النقيضين .

وحيث أوقعنا أنفسنا بهذا التناقض لابد من إيراد فرضية أخرى لا تستلزم المحال، كأن نقول أن صفات الله وحالاته جزء من ذاته. إن البحث والتدقيق في مسائل من هذا القبيل، والذي كان شغلاً شاغلاً لعلماء الإسلام وأوربا إبان القرون الوسطى، من شأنه أن يمنح الإنسان

قدرة استثنائية على المستوى النظري والذهني، لكنه في الوقت ذاته يمنع صاحبه من تحقيق تقدم ملموس على المستوى العلمي والعملي، ويحول بينه وبين كشف قوانين الطبيعة وتنمية آفاق معرفته الواقعية . لقد حرص الإسلام الأوّل على عرض الحقائق الجزئية على الناس وحثهم على التفكير فيها . ثمة مضمون خاص أستوحيه شخصيًا من القرآن وأحسب أنه يدعم تصوّري هذا ويقويّه، وهو عبارة عن تكرار القرآن للدعوة إلى (التفكير) (والتعقيل)، دون أن تعثر على مورد واحد يتضمّن الدعوة إلى التفكّر بذات الفكر أو تعقّل العقل بنفسه لمعرفة أنّ العقل موجود مادي أو معنوي، أو أنه جزء من ذات الإنسان أم عرض له، لازم أو مفارق، باق أم فان، حادث أم قديم، وغير ذلك من البحوث الغربية . الإسلام يدعو إلى التفكير بالعقل لا التفكير فيه، وذلك على غرار ماهو سائد في عصرنا الحاضر من عدم البحث في حقيقة الروح أو المادة أو الطاقة، والتركيز على أثار هذه الحقائق ودراسة خصائصها.[1]

❋ مبادئ حضارية في الإسلام:

التكافؤ و المساواة:

التساوي والتكافؤ بين البشر أفرادًا ومجتمعات، لم يكن مجرد فكرة يقترحها الإسلام، أو توصية أخلاقية يدعو الناس إلى الالتزام بها، ولا

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص112_113

حتى أمنية إنسانية يطمح إليها بغية تأمين مصالح بشرية مستقبلة، أو إقرار السلم والأمان في المعمورة، بل هي حلقة في إطار رؤية كونية علمية يحملها الإسلام، يكون جميع الناس في ضوئها متكافئين في واقع الحال ، لأنهم ينبغي أن يصبحوا كذلك. إن المساواة والتكافؤ بين أبناء البشر يعد - وفق هذه الرؤية - حقيقة علمية طبيعية وليست هدفاً أخلاقيًا وإنسانياً يحمله أصحاب النفوس الزكية ويدعون إليه بحماس. وباختصار هو حقيقة كائنة وليست شيئًا ينبغي أن يكون .

(المساواة العامة) مبدأ سياسي اجتماعي؛ شيّده الإسلام على أسس فلسفية، فاعتبره أولاً وقبل كل شيء مبدأ طبيعيًا مسلّمًا، وعمل ثانياً على رفع مستواه من (المساواة الحقوقية) إلى (المساواة الحقيقية)، أي: الطبيعية الموضوعية الخارجية، التي لها في عالم الخلقة وجود مشخص، وبالاصطلاح الإسلامي أن (المساواة) ترتقي إلى مستوى (الأخوة).[1]

شيوع ثقافة الرقابة والنقد:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوضان مبدأ (مالله لله، وما لقيصر لقيصر) ويحملان كل فرد مسلم مسؤولية العمل على إقرار العدل وتحقيق السعادة والكمال الإنسانيين، يقول التلميذ الأول للإسلام، علي بن أبي طالب: (أعمال العبادات قطرة من بحر الأمر بالمعروف .... وأفضل من الأمر بالمعروف كلمة حق عند سلطان جائر).. هاهنا يتجلى بوضوح الأساس الذي تستند عليه مقولة (ما لقيصر لقيصر).

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص67_68

الترابط الاجتماعي:

إن بذل المساعي الاجتماعية لإصلاح شأن الآخرين والنهوض بمستوى المجتمع ككل يعد وظيفة يومية تناط بعهدة كل مسلم :

(من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم) .

فمن هو المسلم إذن ؟إنه من يصفه عليّ بقوله :

(أما الليل فصافون أقدامهم تالين أجزاء القران يرتلونه ترتيلا، وأما النهار فحلماء علماء أبرار)[1]

التعايش السلمي بين الأديان :

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة/8].

تمعّنوا في مفاد الآية، إنها تريد إقرار مبدأ التعايش السلمي بين الأديان المختلفة، ويمكن أن نستوحي منها، أن الأقليات والفئات الأخرى، لو لم تدخل في معركة مع المسلمين ولم تلحق الأذى بهم، بمقدورها أن تتعايش مع المسلمين، وليس ثمة أمر إلهي بمقاطعتها أو فرض طوق من الحصار عليها، بل إن لهم حقوقًا في المجتمع الإسلامي يجب تأمينها ومراعاتها، وهكذا نجد أن أبهى الكنائس والمعابد المسيحية تُشيّد في أرض إسلامية؛ وفي وقت كان الإسلام في أوج عزّته، ففي زمان هارون الرشيد يتمّ رصد مبالغ ضخمة من بيت مال المسلمين لأجل إعمار

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص86

وصيانة الأماكن المقدّسة لدى المسيحيين القاطنين في فلسطين. إن أحد الموارد التي تُصرف فيها الزكاة هو توزيعها على (المؤلفة قلوبهم) مع أنّ الزكاة تعدّ مصدرًا ماليًا دينيًا بحتًا، ومع ذلك فإنه ينفق على غير المسلمين ..﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الممتحنة/9]. والآية تميّز بوضوح بين الخصم الفكري والعقائد وبين الخصم الذي يقف في ميدان المعركة! بين الخصم العلمي وبين الخصم العملي الذي ينبري لقتال المسلمين ويخطّط للقضاء عليهم.

لقد سُبي اليهود وأُبعدوا عن ديارهم سنة (70ميلادية)، وأُجبروا على التفرق في أنحاء الدنيا فصاروا أقليات منتشرة هنا وهناك؛ وكان للعالم الإسلامي فيما بعد حصّته منهم، ولنصغِ إلى هذا الكلام الوارد على لسان (كيه موليه) عضو الحزب الاشتراكي الفرنسي والذي قُتل في أزمة الشمال الأفريقي قبل سنوات: (كان لليهود في البلدان الإسلامية نفوذ ونشاط حياتي طبيعي ولم يشعروا أبدا بأنهم أقلية، رغم أنهم كانوا كذلك في الواقع، ولذلك لم يجدوا حاجة إلى التمركز في نقطة واحدة والتحول إلى حركة عنصرية دينية، ولم يفكّروا بتشكيل دولة أو منظّمة على أساس العرق والدين داخل المجتمعات الإسلامية، وذلك أنهم كانوا يزاولون نشاطهم المعاشي بحريّة ويتمتعون بالحقوق والمزايا التي يتمتّع بها غيرهم).[1]

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام.ص116_117

الديمقراطية:

الديمقراطية المطلقة والديمقراطية الموجهة:

يجب التنبيه هنا على أنّ الإسلام اختار طريقًا وسطًا بين الحرية والديمقراطية الغربية على ما طرحوها بعد الثورة الفرنسية الكبرى ويدافع عنه باستماتة دعاة حقوق الإنسان، وبين نهج الاستبداد الفكري ومصادرة الحريات وكمّ الأفواه التي لا تنطق بما تمليه السلطة .

إن ظاهرة القمع والكبت الفكري تقتل روح الإبداع في المجتمع، وتهمّش القابليات والعقول المتنورة، وتئد الأفكار والأطروحات الجديدة، وليس ثمّة جريمة في التاريخ أسوأ من هذه . بيد أن الليبرالية الغربية واجهت هي الأخرى مشاكل على مستوى التطبيق شغلت بال الكثير من المصلحين الاجتماعيين، وأدّت إلى تشكيك بعض المعتنقين لها بصلاحيتها لإدارة المجتمع، وذلك أن المجتمع الذي يباح فيه كل شيء بدون أدنى ضابطة، مآله لا محالة إلى البوار والانحطاط . إن مراكز الفساد الأخلاقي والروحي تنتشر يوما بعد آخر مستفيدة من أجواء الحرية المطلقة في تضليل الشباب والمراهقين وضعفاء الشخصية ، بحيث بات حبل الفساد والإباحية والتحلل يضيق على عنق المجتمعات الغربية، وأصبح ينذر بمصير أسود للأجيال، خاصة وأنّ كل محاولة للحد من حالة الانهيار هذه تصطدم مع مبدأ الحرية بشكله المطروح الآن .

-عندما أمر الجنرال ديغول بأن تضع الراقصات اللاتي يرقصن عاريات في الملاهي والكباريهات ورقة صغيرة لتغطية المكان الخاص، ارتفعت الصيحات تصف ديغول بأنه ديكتاتور! أيّ حقّ له في إصدار هكذا حكم ؟. أليس من حقّ كل إنسان بمقتضى الحرية أن يرقص كما يشاء وأن يكشف عندما يشاء ؟!

مضافًا لما مرّ، فإن الحرية المطلقة الفردية تسقط المسؤولية عن الحكومة في الدفاع عن قيم المجتمع وقيادته معنويًا وأخلاقيًا، وتقصر وظيفة الحكومة على إدارة مرافق المجتمع .

فيما يفرض الإسلام على الحكومة الإسلامية أن تكون مسؤولة عن قيادة المجتمع نحو الهداية والدفاع عن قيمه، جنبًا إلى جنب احترام حقوق الأقليات والمذاهب المختلفة في المجتمع. وعمومًا لا يعتقد الإسلام لا بالدكتاتورية ولا بالليبرالية والديمقراطية المطلقة بل بالليبرالية الملتزمة أو المصلحة، أو ما عبّر عنه أحد الزعماء في مؤتمر باندونغ بالديمقراطية الموجهة.[1]

عين على الديمقراطية في العصر الراشدي:

أفضل وثيقة يمكن الاستناد إليها في تحديد مقدار الحرية السياسية والديمقراطية الحقيقية التي كان يتمتع بها انتخاب أبي بكر الصديق خليفة وحاكمًا سياسيًا للمسلمين، وقد أدلى بأول تصريح سياسي له كحاكم أمام الجمهور، فقال:

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص126_127

((يا أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، ولقد وددت أن واحدًا منكم قد كفاني هذا الأمر فلو وجدتم فيَّ اعوجاجًا فقوّموه))...... فانبرى له من القوم شخص مجهول فصاح بأعلى صوته: لو رأينا فيك اعوجاجًا قومناك بهذا (وأشار إلى سيفه)[1]

العدالة إكسير العبادة :

في العبادات الجماعية التي لابد فيها من تصدي شخص معين، ليكون إمامًا للجماعة، لا يشترط في ذلك الشخص أن يكون صاحب منصب رسمي ، بل من حق أي كان؛ أن ينبري لإمامة الجماعة، فقيهًا كان أم خطيبًا، عالمًا أم عاملاً، طبيبًا أم كاسباً، وذلك شريطة أن يتوفر على صفة العدالة، وهي فضيلة أخلاقية عامة وليست حكرًا على طبقة معينة أو شريحة خاصة أو سمة رسمية...[2]

التكامل لا التفاضل بين الدنيا والآخرة :

الدنيا والآخرة في الإسلام الحقيقي ليستا متعارضتين؛ بل هما مكملتان لبعضهما، لا تتدافعان بل تدفعان معا باتجاه تكامل الإنسان ..

(الدنيا مزرعة الآخرة)

(من لا معاش له لا معاد له)

(ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك)

(المسلم يتطلع دائما إلى تحصيل السعادة ببعديها المادي والمعنوي)[3]

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص71

2- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص64

3- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص84

الاجتهاد تعدد في الرؤى وليس اختلافاً:

ومن الأمور التي تدلّل على مدى التحرر الفكري السائد آنذاك فتح باب الاجتهاد في الإسلام، بما يحمله من معنى يتيح لكل فرقة دينية ومذهبية أن تزاول نشاطها الفكري والعلمي بحرية بالغة من أجل استنباط الأحكام الدينية على ضوء المستجدات الزمانية والمكانية (وهو معنى الاجتهاد)، الأمر الذي بلغ من الأهمية بين أوساط المسلمين درجة الإقرار رسميًا باختلاف المذاهب ،.

وماذا تعنى مقولة (الطرق إلى الله بعدد نفوس الخلائق)؟ أليست تعني عدم احتكار حقّ أيّ إنسان أن يختار طريقه إلى ربه دون أن يُدان على ذلك. وللنبي صلى الله عليه وسلم في هذا السياق مقولة رائعة يقول فيها : (إن في اختلاف أمتي رحمة). وطبعًا هو يعني هنا الاختلافات الفكرية،.إذ الأمة التي تفكّر على نمط واحد أمّة ميتة ،لأنها في الحقيقة لا تفكر، التفكير على نمط واحد بمنزلة عدم التفكير، إذ الأفكار لا يمكن صياغتها في قالب واحد إلا في حالات الكبت والاختناق .

من أين تأتي الرحمة في الاختلافات ؟! من تلاطم الأفكار وتصادمها الحر، فهذا التصادم هو الذي ينتج الفكرة الجديدة، فتتلاحق الأفكار وتتكامل، إن حرية التفكير في القرون الأولى للإسلام هي التي أوجبت ظهور الحضارة الإسلامية وازدهارها في النصف الثاني من القرن الثالث وما بعده إلى القرن الخامس الهجري . وهذه الحضارة لم يكن يقيّض لها

أن ترى النور لو كانت المدارس النظامية للخواجة (نظام الملك) ومافيها من تعصب أعمى موجودة قبل ذلك الزمان .

إنّ اختلاف علماء الأمة رحمة، لأن منشأ التكامل هو التنازع وتصادم الأفكار والآراء والنظريات، وتلك هي دعامات الديالكتيك الثلاث في الطبيعة والإنسان . وأنا أعتقد هنا أن (فريد وجدي) غفل عن بحث يعدل في قيمته هذه الأصول والأركان جميعاً.[1]

❋ فلسفة الخلقة في القرآن :

وكما يظهر من التأمل في الآيات القرآنية فإن فلسفة الخلقة تنطوي على الجوانب التالية:

– المساواة بين كلّ الأعراق البشرية وذلك لرجوع الجميع إلى أسرة واحدة وأبوين مشتركين.

–المساواة بين الرجل والمرآة، لاتحادهما في الإنسانية واشتراكهما في المنشأ والطينة.

–أن جذور الإنسان ترجع إلى المادة وإلى التراب على وجه التحديد، وقد بيّنت هذه الحقيقة على نحو غير قابل للتأويل من قبل أكثر الناس سفسطة وجدلاً.

– أفضلية الملائكة على الإنسان من حيث منشأ الخلقة، وكونها

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص130_131

موجودات غير مرئية ﴿والْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[الحجر/27] ﴿وخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[الرحمن/15]. وبالاصطلاح الشائع يعدّ الملائكة جنساً أرقى من الإنسان وهو أدنى منها!.

– ومع الأفضلية العرقية للملائكة على الإنسان، فإن الله يأمرها بالسجود أمامه، وهكذا يتعين على أحفاد النار الخضوع والانقياد والتسليم لهذا الموجود المخلوق من طينة يابسة متعفنة من﴿حَمَأٍ مَّسْنُونٍ﴾[الحجر/26](1)

❋ الرؤية الإسلامية للإنسان:

الإنسان أولاً:

إن الدين الذي هو فوق العلم، يعتبر الإنسان ذاتاً أرقى وأشرف من جميع المظاهر الطبيعية. هذا هو اعتقاد الدين واعتقاد أصحاب النزعة الوجودية(les existentialisms)أيضًا.(2)

الرفض وعدم التسليم:

إن أكبر قيم الإنسان هي تلك التي يبدأ منها (بالرفض)و(عدم التسليم) اللذين يتلخصان بكلمة(لا)، ومنها بدأ آدم أبو البشر.. أمر أن لا يأكل من تلك الثمرة، لكنة أكل، فصار بعدئذ بشرًا وهبط إلى الأرض، وإلا لكان ملكًا لا ميزة له، ولصار غيره آدم لفرض عليه أن

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،.ص208_209

2- علي شريعتي،النباهة والاستحمار،.ص70_71

يسجد أمامه، لكنه تمرد فصار آدم.وأول ما يبدأ آدم بهدمه في حياته اليومية فيضحي به هو (التمرد).[1]

ثنائية الإنسان:

فالإنسان —بالمنظار القرآني— قائم على التناقض، قوتان متضادّتان تتجاذبان باتجاهين مختلفين، أحدهما نحو القعر الرسوبي للحياة والأخرى نحو القمّة التي سجدت له فيها الملائكة أجمعون. المهم أنّ الإنسان الواقع دائماَ تحت تأثير هاتين القوتين والمواجه أبداً لمفترق طريقين، قادر على الاختيار، بانتخاب أحد الطريقين، ومن هنا تنبثق المسؤولية، وعلى رأس هذا المفترق يقف إبليس بكامل قواه حذراً يقظاً لا يغفل عن صاحبه طرفة عين .

هذه هي (الثنوية الإنسانية)، الثنوية الوحيدة التي يعترف بها الإنسان كحقيقة واقعية، لكنّها ثنوية منحصرة في إطار عالم الإنسان وروحه ونظام خلقته.

لا وجود للثنوية الإسلامية (إبليس — الله) خارج حدود الدائرة الإنسانية، وذلك على خلاف الثنوية الزرادشتية والمانوية المسترسلة في كل أنحاء الوجود. ثنوية(إبليس–الله)لا توجد إلا في إطار الإنسان، بل هي الإنسان بعينه، الإنسان مؤلف من هذين القطبين، وهما دوماً في حالة تنازع وصراع في دائرة وجوده، وهو قادر– بموهبة الإدارة والاختيار

1- علي شريعتي،النباهة والاستحمار،ص76

– أن ينتخب أحد الاثنين، وله أن يتحالف مع أحد الإقنومين المتنافسين عليه: الأقنوم الرباني والأقنوم الشيطاني، ويختار أحدهما على الآخر.
ومن الواضح جداً أن هذه الثنوية، الإنسانية لا الكونية، الأخلاقية لا الفلسفية، لا تتنافى مع وحدة الخلقة التي هي من لوازم التوحيد، إذ لو نظرنا من نافذة الإسلام إلى واقع القضية، فلن نرى «أهريمن» متحدّياً «لأَهورا مزدا»، سوف نراه متحدياً للإنسان!

الكون إمبراطورية مترامية الأطراف يحكمها إمبراطور مقتدر، لا ندّ له ولا شريك، وفي ناحية من تلك الإمبراطورية، كائن موجود نصفه من الله ونصفه الآخر من الشيطان، وفي داخلة حرب مستعرة على الدوام، والمصير الذي في انتظاره يتوقّف على نوع الجبهة التي سيميل إليها في خضمّ الصراع.[1]

الحرية والاختيار:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[الأحزاب/72]

لا نعلم بالضبط ما هي هذه الأمانة؟ ولكن؛ من الواضح أنها ثقيلة جداً بحيث تمتنع السماوات والأرضون والجبال عن قبول مسؤوليتها، ولا ينهض لتحمّلها سوى الإنسان.

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص215_216

وأعتقد أن أصحّ وأعمق معنى فسّرت به هذه الأمانة هو (الحرية والاختيار). وهو الصفة الوحيدة التي ينفرد بها الإنسان دون غيره من المخلوقات وهي الأمانة الثقيلة التي أشفقت الأرض والجبال والسماء أن يحملنها وحملها الإنسان. فعن الحرية والاختيار فقط، ينجم الشعور بالمسؤولية، والمسؤولية هذه هي التي تضع الإنسان في أحلك الظروف وأحرج المواقف أمام قضايا المجتمع والحياة و(أنا) والآخرين، وإلى هذا المعنى بالذات يشير ذيل الآية﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولا﴾[1]

مسؤولية الإنسان عن اختياراته:

السعادة والشقاء مرهونان بأعمال الإنسان وصفاته الذاتية لا بالقرابة والشفاعة :

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر/38]

﴿لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم/39-40]

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى﴾[النازعات/35] [2]

وهم القضاء والقدر:

هل نحن خلقنا مسيرين ؟

بين بين، مسيّرين إلى حدّ ومخيّرين إلى حدّ. إننا مسيّرون مثلما أنّ البستاني أو الخبير الزراعي مسيّر ومجبور على اتباع قوانين علم النبات بدقة إذا أراد أن ينجح في مشروعه الزراعي وتعود عليه الأشجار بعطاء

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص62

2- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص64

سليم، وهو مخيّر بأن ينتخب الطريقة التي يراها مناسبة في تنظيم بستانه واختيار نوع الأشجار والنباتات التي يغرسها فيها ومن ثمّ مجارة القوانين والقواعد الزراعية التي من شأنها أن تعود عليه بثمر يانع وطعم لذيذ ورائحة ذاكية .

وهكذا نرى أنّ صاحبنا البستاني مضطرّ لإتباع قوانين الطبيعة ذات الصّلة بالنباتات ومختار في تطبيقها على ما شاء من النباتات وعلى النحو الذي يرتئيه هو لاغير، وكذلك الإنسان هو مختار في مجتمعه وهو أيضًا مسيّر ومنقاد للقوانين الاجتماعية الحاكمة على المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا برأيي هو معنى الحديث القائل: (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين)، إنّه بتعبير آخر: اختيار مقيّد وحرية مشروطة، أنت حرّ بأن تقود سيارتك وتنطلق بها إلى أيّ مكان شئت، ولكنّك ملزم في الوقت ذاته بإتباع كافة الخطوات الضرورية التي تنتهي بتحريك العجلات.[1]

إنّ معادلة (أمر بين أمرين = الناس + السنة) هي أدق تعبير عن نظريتي.[2]

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص212_213
2- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص93_94

❋ الله في حياة الإنسان:

لا كهنوتية، لا ارستقراطية :

الرب الذي يتحدث عنه القرآن لا يتصف بجبروت (يهوه) ولا عنفه، وليس هو ببعيد عن أحلام العوام كالإله الذي يؤمن به أفلاطون، (إنه مثل إله أبيكتت) الذي يشتبه أمره مع (روح الأشياء).

الرب في القرآن قريب جدًا من العبد، وفي متناول الجميع، إنه حبيب من يحبه، وهو يبالغ في التصريح برغبته بأن يقترب منه الإنسان أكثر فأكثر، حتى أنه ليتباهى بأنه أقرب إلى الإنسان من نفسه ..... بهذا يحول الإسلام دون ظهور نوع من (الأرستقراطية الدينية). أو الطبقية الاجتماعية وصنوف التمييز العراقي أو الفئوي الإسلام يرفض التحجر والجمود ويشجب الرجعية . [1]

الاتصال المباشر :

غاية الإسلام هي رفع الحواجز والحجب بين الإنسان وربه، وبغية تحصيل هذه الغاية يضع الإسلام في أولوياته مهمة إيجاد حلقة اتصال مباشر بين الطرفين. وفي ضوء ذلك لا نرى مكانًا في الإسلام لكيان رسمي متشكل من رجال الدين، ولا مجال في هذا الدين لظهور سلسلة مراتب ومواقع يشغلها رجال الدين، بحيث يكون قبول الأعمال العبادية

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص63

والعقائدية للفرد المسلم منوطا بإذن من هؤلاء أو وساطتهم لدى الرب لمصلحة العبد.[1]

الإنسان الحر:

في هذا العالم قطبان فقط لا ثالث لهما : الله جل جلاله، وما سواه: الجهل والخوف و الانتهازية.

ويعتقد الموحد أن كل الآمال والطموحات والمصالح والأخطار واقعة في قبضة القطب الأول، أما الثاني فليس بيده شيء . إن الإسلام يطالب الفرد المسلم بالمثول عشر مرات على الأقل كل يوم أمام الحاكم المطلق المتصرف بجميع الكائنات بلا رقيب، ليقرّ له، وله فقط ، ويعترف من صميم القلب : إياك وحدك أعبد وبك لا بغيرك أستعين ! عند ذلك ، هل سيبقى مجال للثناء والتزلف والترجي والخوف والالتماس والاستجداء من ما سوى الله . نعم يتعيّن على كلّ مسلم عشر مرات على الأقل يومياً طوال عمره، أن يلقن نفسه بهذه المبادئ والأصول والشعارات ويكرر معالم التوحيد هذه مابين نفسه وربه، بجدية وإخلاص، ثمّ إن ممارسة طقوس هذا الاعتراف لا تتمّ إلا بموجب تحقّق شروط زمنية وروحيّة وبدنيّة خاصة، يجب على الروح قبل ممارسه هذه الطقوس أن تغرق تماماً في عالم من الطهارة والصفاء، وعليها أن تكرّر هذه الطقوس باستمرار، خصوصاً في اللحظات التي تشهد تغييرات في أوضاع الطبيعة

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص64

– مواقيت الصلاة : على مشارف طلوع الشمس حيث يبدأ اليوم، وحين ينتصف النهار، وعندما تنحدر الشمس نحو المغيب، والمغرب حيث يبتدىء الليل، وفي دجى الليل حيث يغرق الإنسان والطبيعة في الظلمة والسكون–، معنى هذا أن الإنسان يتجدد، مع تبدّل أحوال الطبيعة، خضوعه حيال الخالق الواحد، روح الوجود ونبض الكائنات، ويعلن أنه غير مستعد للخضوع لغيره أو الاستعانة بسواه .

بهذه الكيفية، تموت في روح الإنسان بذور الضعف والخوف والطمع، ويتحول إلى موجود مستقلّ لا حاجة فيه إلى أحد ولا رغبة بشيء، وعندها فقط يستطيع أن يحفظ شخصيته الإنسانية أمام التهديدات والإغراءات في كل عصر ومصر ... الموحّد إنسان حرّ، شجاع ومستقل. ولكم أن تتخيلوا مجتمعاً مثالياً – كما صنع أفلاطون وتوماس مور – كل فرد من أفراده مقاطعة حرّة وشخصية مستقلة مترّهة عن الخوف والطمع والكذب والخداع والتملّق .أي مجتمع سيكون هذا؟ هل سيواجه معاناة؟، هل سيوجد عامل يقدر على تعريضه للمرض أو الانحراف ؟![1]

1- علي شريعتي،معرفة الإسلام،ص.ص180_182

المحتويات